# مبتكرات القرآن البلاغية عند إبن عاشور

د. عدنان مهدي سلطان الدليمي

## Quran rhetorical innovations as Ibn Ashoor think

Ph.D; Adnan mahdi Sultan

conclusion

This research is marked by(Quran rhetorical innovations in Ibn Ashoor )it is anew trial in the field of Quran rhetorical innovations to discover the pioneer use of the term rhetorical innovations for Ibn Ashoor in his explanation (Liberation and Enlightenment) where he qualified many places from the Quran ,,then the mission of this research is to determine the term of the rhetorical innovations and investigate its places that nominated by Ibn Ashoor. He analyses them rhetorically that revealing on the rhetorical innovations trait ,and contribute with new gesture showing the rhetorical miracle ,and make a certificate of highness statement to the great Arabic book

بسم الله الرحمن الرحيم

**الملخص** :

يعد هذا البحث الموسوم بـ **(مبتكرات القرآن البلاغية عند ابن عاشور)** محاولة جديدة في ميدان الدراسات البلاغية للقرآن الكريم ، ليكشف عن الاستعمال الرائد لمصطلح الابتكار البلاغي عند ابن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير) إذ نعت به مواضع من نصوص الذكر الحكيم ، فكانت مهمة البحث هي تحديد مفهوم مصطلح الابتكار بلاغياً ، واستقصاء مواضعه التي رشحها ابن عاشور ، وتحليلها تحليلاً بلاغياً يشف عن سمة الابتكار البلاغي فيها ، ليسهم بالتفاتة جديدة تدلل على الإعجاز البلاغي ، ويدلي بشهادته على السمو البياني لكتاب العربية الأعظم .

## مقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، بديع السماوات والأرضين ، والصلاة والسلام على نبيه الأمين ، سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين الى يوم الدين ، وبعد :

فلا يزال القرآن الكريم المعجزة الخالدة ما تعاقبت السنين ، والمعين الثر على وفرة الناهلين ، والبحر المادّ بعلومه أفهام الدارسين ، وقد وفقني الله تعالى وأنا أجوب رياض التحرير والتنوير لفذّ عصره في علم التفسير محمد الطاهر بن عاشور، أن ألاحظ تكراره لعبارة (وهذا من مبتكرات القرآن) واصفاً مواضع من آيات الكتاب المنير ، فعزمت على تقصّيها، وإذا بها نعت لنكت بلاغية تمثل ملمحاً من ملامح الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وهي ما أبدعه من أفانين التصرف في أساليب الكلام بعد أن كانت جهة مغفولاً عنها من البلاغة أحياها النظم المعجز .

وقد قامت الخطة على مبحثين وخاتمة ، أما المبحث الأول فقد جاء بعنوان (تعريف الابتكار وتحديد مفهومه عند ابن عاشور) حاولت فيه تأصيل مصطلح (الابتكار) بحلة بلاغية وتوضيح مفهومه عند ابن عاشور ، وأما المبحث الثاني فعنونته بـ (مبتكرات

القرآن البلاغية– عرض وتحليل) وتكفل بتصنيف تلك المواضع المبتكرة على علوم البلاغة وتحليلها تحليلاً بلاغياً يجلّي سمة الابتكار البلاغي فيها في حين لخصت الخاتمة أهم نتائج البحث .

ومن الله التوفيق .

## المبحث الأول

## تعريف الابتكار وتحديد مفهومه عند ابن عاشور

**- في المصطلح :**

لم أجد في حدود دائرة المصطلح البلاغي تأصيلاً واضحاً ومستقلاً لمصطلح (الابتكار) وإنما ورد مفهومه تحت مصطلحات بلاغية أخرى ، أو ورد مصطلحاً لغوياً عاماً ، لذلك فانه لا بد من الوقوف على مادته اللغوية أولاً ، ثم الاصطلاح اللغوي العام له توصلاً الى تحديد مفهوم الابتكار البلاغي .

أما في اللغة: فان مادة (بكر) تدور على معنى أول الشيء في جميع استعمالاتها . قال الخليل بن أحمد الفراهيدي : (البِكْر من كل شيءٍ أوّله . وبقرة بِكْرٌ ، أي فتية لم تحمل) [١] . ويقال : (بكّر في حاجته ، وبَكَر وأبْكَرَ واحد . والبُكُر جمع البُكْرة وهي الغداة ، والتبكير والبكور والابتكار : المضيّ في ذلك الوقت . والإبكار : السيرورة فيه ... وغيث باكور وهو المبكّر من أول الوسمي . وهو الساري في آخر الليل وأول النهار وجمعه بُكُر)[٢] . وهذه هي دائرة المعنى اللغوي لتلك المادة ، وكل ما ورد في المعجمات اللغوية لا يخرج عن حدود معنى أول الشيء ومقدمه وبدايته وفيه معنى السبق[٣] .

وأما من حيث الاصطلاح فقد ورد في كتب التراث البلاغي مصطلحات قريبة من هذا المفهوم اللغوي ، أو مفسرة به وان لم ترد نصاً فيه . وأقرب هذه المصطلحات واكثرها ترابطاً وتداخلاً عند أهل البلاغة هي : (الإبداع) ، (الابتداع) ، (سلامة الابتداع)،

---

(١) كتاب العين : ٣٦٤/٥ .

(٢) م.ن : ٣٦٥/٥ .

(٣) = : معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، ٢٨٧/١ ، أساس البلاغة ، الزمخشري : ٤٨ ، لسان العرب، ابن منظور : ١٤٤/٥-١٤٦ .

(الاختراع) ، (سلامة الاختراع) . وعند الرجوع الى المظان البلاغية نجد أن المصطلحات الثلاثة الأُول تندرج تحت مفهوم واحد . قال ابن رشيق القيرواني : (الإبداع هو إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف الذي لم تجر العادة بمثله ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له : بديع ، وإن كثُر وتكرر فصار الاختراع للمعنى والابداع للفظ)[١] . وقال ابن أبي الاصبع المصري في (الابداع) : (هو أن تكون مفردات كلمات البيت من الشعر أو الفصل من النثر أو الجملة المفيدة متضمنة بديعاً بحيث تأتي في البيت الواحد والقرينة الواحدة عدة ضروب من البديع بحسب عدد كلماته أو جملته ، وربما كان في الكلمة الواحدة المفردة ضربان فصاعداً من البديع ، ومتى لم تكن كل كلمة بهذه المثابة فليس بإبداع)[٢] . وكأن المصري بهذا المفهوم يريد أن الإبداع هو قدرة الكاتب على ايداع الحشد الفني في الكلام الموجز .

أما السبكي فقد عرفه بأنه : (هو ما يبتدع عند الحوادث المتجددة كالأمثال التي تُخترع وتُضرب عند الوقائع)[٣] . وذكر السيوطي أن الطيبي سمى هذا الفن (إبداعاً)، وسماه أهل البديعيات (سلامة الاختراع)[٤] . وعرف الجرجاني (الابداع) و(الابتداع) بأنه: (إيجاد شيء غير مسبوق بمادة ولا زمان ... أو ... هو ايجاد الشيء من لا شيء)[٥]. وافرد ابن الاثير باباً سماه (سلامة الابتداع من الاتباع) قال فيه : (وحقيقة هذا الباب أن يبتدع الشاعر معنى لم يسبق إليه ولم يتبع فيه)[٦] . وسماه ابن أبي الإصبع (سلامة الاختراع من الاتباع) وقال فيه : (هو أن يخترع الأول معنى لم يُسبق إليه ولم يتبع

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٢٦٥/١ ، و= : المعجم المفصل في علوم اللغة ، محمد التنوخي وراجي الأسمر : ٢٠ .

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن : ٦١١ ، و= : البرهان في إعجاز القرآن : ٤٣٥ .

(٣) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح : ٤٧٣/٤ .

(٤) = : شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان : ١٦٣ .

(٥) التعريفات : ١٣ .

(٦) جوهر الكنز : ١٥٩ .

فيه)[١]. وتبعه في ذلك الحلبي والنويري وابن معصوم وغيرهم[٢] .

أما الاختراع فقد عرفه ابن رشيق بأنه (خلق المعاني التي لم يسبق اليها والإتيان بما لم يكن منها قط)[٣] . وهو عند حازم القرطاجني : (الغاية في الاستحسان)[٤] في كلامه على مراتب الشعراء فيما يلمّون به من المعاني .

وعرفه ابن قيم الجوزية بأنه (أن يذكر المؤلف معنى لم يَسبق اليه ، واشتقاقه من التليين والتسهيل)[٥] . وفرّق أبو هلال العسكري بين (الاختراع) و(الابتداع) بأن الأول (هو الايجاد عن غير سبب وأصله في العربية اللين والسهولة فكأن المخترع قد سُهل له الفعل فأوجده من غير سبب يتوصل به إليه)[٦] ، وأن الثاني هو (ايجاد ما لم يُسبق إلى مثله ، يقال : أبدع فلا إذا أتى بالشيء الغريب ، وأبدعه الله فهو مبدع وبديع)[٧] .

فالملاحظ أن هذه المصطلحات متقاربة أحياناً ، ومتداخلة أحياناً أخرى ، ومهما يكن من تعدد صيغها فإن صلة الرحم بينها جلية ، وان كان بعضها يختص بالمعنى والآخر باللفظ. أما الابتكار بصفته مصطلحاً بلاغياً فانه وإن لم يوجد نصاً عند القدماء فانه حاضر من حيث الفحوى . وقد ورد في المعجمات اللغوية الحديثة بأنه (هو الأصالة والاستقلال في انتاج الموضوع أو المضمون ، وعكسه المحاكاة أو التقليد)[٨] أو (هو الخلق والإبداع بصورة غير مألوفة أو نادرة أو متميزة ويقابله الابتذال)[٩] .

ومبتكرات القرآن اسم مفعول من (الابتكار) ولنا أن نعرفه بالمعنى البلاغي للابتكار بأنه : هو ما أبدعه أسلوب القرآن الكريم من استعمال ألفاظ اللغة وطرق تراكيبها وألوان

---

(١) تحرير التحبير : ٤٧١ ، البرهان في اعجاز القرآن : ٢٦٨ .

(٢) = : حسن التوسل الى صناعة الترسل : ٢٦٩ ، نهاية الارب في فنون الأدب : ١٦٤/٧ ، أنوار الربيع في أنواع البديع : ٢٠٤/٦ .

(٣) العمدة : ٢٦٥/١ ، و=: الكلام في المعجم المفصل : ٢٠ .

(٤) منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ١٩٦ .

(٥) الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان ، ابن قيم الجوزية : ١٥٦ .

(٦) الفروق اللغوية : ١٠٩ .

(٧) م.ن : ١٠٩ .

(٨) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة ، كامل المهندس : ١٠ .

(٩) المعجم المفصل : ١١ .

نظمها استعمالاً خاصاً استنفد أقصى طاقاتها الإبداعية ولا عهد لأرباب اللغة بهذه الكيفيات قبل استعمال القرآن الكريم لها .

وهذا لا يعني أنه جاء من خارج اساليب اللغة ومعهود نظمها أو بشيء غريب عنها ، وانما هو تفجير لطاقات اللغة واستغلال كامل لامكاناتها وسبرٌ لأغوارها ، وان كان نظم القرآن واسلوبه كله مبتكر متحدى به بشكل عام ، يقول مصطفى صادق الرافعي : (إذ نعتقد أن أكثر ما جاء في القرآن الكريم كان جديداً في اللغة ، لم يوضع من قبله ذلك الوضع ، ولم يجر في استعمال العرب كما أجراه ، فهو يصب اللغة صبّاً في أوضاعه لأهلها ، لا في أوضاع أهلها)[1] . وان ما نقف عنده من تلك المبتكرات هو ما رشحته ذائقة ابن عاشور البلاغية وانتخبته من النص المعجز ليكون بمثابة العينة جليّة الابداع والابتكار .

**مبتكرات القرآن عند ابن عاشور :**

يعد ابن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير) من أبرز من فسر القرآن الكريم على وفق معطيات نظرية النظم في العصر الحديث بلا منازع ، تلك النظرية التي أرسى معالمها عبد القاهر الجرجاني في (دلائل الاعجاز) على وجه الخصوص ليجد الدارسون بعده السبيل الى وضع اليد على ملامح الاعجاز البلاغي للقرآن الكريم قديماً وحديثاً . وقد تطرق في مقدمة تفسيره البلاغي الى ابرز وجوه الاعجاز تحت عنوان : (في إعجاز القرآن) وهو المقدمة العاشرة من مقدماته ، وقد اشار الى نكت أغفلها من تقدمه ممن تناظلوا في ميدان الاعجاز البلاغي للقرآن الكريم مثل الباقلاني والرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني والسكاكي .

فالوجه البلاغي هو الراجح عنده وعند جمهور أهل العلم من وجوه الاعجاز ، إذ يقول: (فالتعليل لعجز المتحديّن به بأنه بلوغ القرآن في درجات البلاغة والفصاحة مبلغاً تعجز قدرة بلغاء العرب عن الاتيان بمثله ، وهو الذي نعتمده ونسير عليه في هذه المقدمة العاشرة)[2] . وإن ملاك وجوه الاعجاز عنده راجع الى ثلاث جهات[3] :

---

(١) وحي القلم : ١١١٦/٣ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٠٤/١ .

(٣) = : م.ن : ١٠٢/١-١٠٤ .

الاولى هي بلوغه الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي البليغ من حصول كيفيات في نظمه مفيدة معاني دقيقة ونكتاً من أغراض الخاصة من بلغاء العرب ، بحيث يكثر فيه ذلك كثرة لا يدانيها شيء من كلام البلغاء ، ومرجع هذه الجهة هو ما يسمى بالطرف الأعلى من البلاغة والفصاحة ، وهو المصطلح على تسميته (حدّ الاعجاز) وهذه الناحية من الجهة من الاعجاز هي أقوى نواحي اعجاز القرآن وهي التي يتحقق بها إعجاز أقصر سورة منه . يقول الرافعي : (بيد أنك ترى جملة تراكيب القرآن من غرابة النظم ... وترى فيه من البلاغة الجامعة خاصة أضعاف ما أنت واجده لأهل اللغة كلهم من الشعراء والخطباء والكتاب)[1] .

أما الجهة الثانية فهي ما أبدعه القرآن الكريم من أفانين التصرف في نظم الكلام مما لم يكن معهوداً في أساليب العرب ، ولكنه غير خارج عما تسمح به اللغة ، فإعجاز القرآن من هاتين الجهتين متوجه الى العرب . أما الجهة الثالثة فهي ما أودع فيه من المعاني الحكمية والاشارات الى الحقائق العقلية والعلمية مما لم تبلغ اليه عقول البشر في عصر نزوله ، وهي ما أغفلها المتقدمون ، فإعجاز القرآن من هذه الجهة متوجه الى البشر كافة وعلى مر العصور .

وفي معرض تفصيله للجهة الثانية (وهي ما أبدعه القرآن الكريم من أفانين التصرف في أساليب الكلام البليغ وأنها جهة مغفولة من كلام العرب)[2] ألمح إلى أن القرآن الكريم قد ابتكر أساليب ونصّ كلامه : (وقد اشتمل القرآن على أنواع أساليب الكلام العربي وابتكر أساليب لم يكونوا يعرفونها ، وان لذلك التنويع حكمتين داخلتين في الاعجاز : أولاهما ظهور أنه من عند الله ؛ إذ تعارف الأدباء في كل عصر أن يظهر نبوغ نوابغهم على أساليب مختلفة كل يجيد أسلوباً أو أسلوبين . الثانية : أن يكون في ذلك زيادة التحدي للمتحدّين به بحيث لا يستطيع أحد أن يقول إن هذا الأسلوب لم تسبق لي معالجته ولو جاء بأسلوب آخر لعارضته)[3] ، ثم يستطرد في التمثيل لتلك المبتكرات منها أن نظمه جاء بأسلوب يجمع بين مقصد الموعظة ومقصد التشريع ، ومنها ما سماه بأسلوب (التفنن)

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ١٩٦ .

(٢) التحرير والتنوير : ١١١/١ .

(٣) م.ن : ١١٣/١ .

وهو بداعة تنقلاته من فن إلى فن بطرائق الاعتراض والتنظير والتنزيل والإتيان بالمترادفات عند التكرير دفعاً لثقل الكلام ، والإكثار من أسلوب الالتفات المعدود من أعظم أساليب التفنن عند بلغاء العربية ، ومن أساليبه العدول عن تكرير اللفظ والصيغة الا فيما يقتضيه المقام ، ومنها اتساع أدب اللغة في القرآن الكريم اذ تضمن المحاورة والخطابة والجدل والأمثال والقصص والتوصيف والرواية[١] .

وفي نهاية تلك المقدمة عاد ليفرد عنواناً خاصاً سماه (مبتكرات القرآن) قال تحته: (هذا وللقرآن مبتكرات تميز بها نظمه عن بقية كلام العرب)[٢] ، ولا أراه في هذا العنوان إلا مؤكداً لما تقدم ذكره على سبيل التخصيص بعد التعميم . يقول الرافعي بهذا الخصوص: (فإن الذي نذهب اليه أن أكثر أوضاع القرآن مبتكرٌ في البيان العربي ، وأن العرب لم يرثوه في كلامهم)[٣] . ثم استأنف معدداً بعض تلك المبتكرات ، فذكر منها أن نظمه جاء بطريقة مبتكرة ليس فيها اتباع لطرائق العرب في كلامهم ، ومنها أنه جاء على أسلوب التقسيم والتسوير وهي سنة جديدة في الكلام العربي ، ومنها الاسلوب القصصي في حكاية أحوال النعيم والعذاب في الآخرة ، ومنها أنه أبدع أمثالاً لم تألفها العرب ، ومنها أنه جاء بأبدع أساليب الإيجاز فهو مع ما فيه من الإعجاز المبين في علم المعاني فيه ايجاز عظيم آخر وهو صلوحية معظم آياته لأن تؤخذ منها معانٍ متعددة كلها تصلح لها العبارة باحتمالات لا تنافي فيها ، وقد جاء هذا الإيجاز بطرق شتى كايجاز القِصر وايجاز الحذف ودقة اختيار الألفاظ المبدلة ابدالاً نحوياً، والتضمين والجمل الجارية مجرى الأمثال والمشترك اللفظي وكذلك اختلاف القراءات القرآنية.

وقد تتبعت المواضع التي عدّها ابن عاشور من مبتكرات القرآن البلاغية في أثناء تفسيره (التحرير والتنوير) فلم أجدها تتجاوز الخمسة والعشرين موضعاً توزعت بين أساليب النظم والتركيب ، وفنون التصوير البياني ، وفنون البديع ، ومنها ما يتلق بالاستعمال اللغوي لبعض الالفاظ استعمالاً اسلامياً جديداً اقتضته طبيعة الدين الجديد على العرب ، ولا يقطع ابن عاشور في معظم تلك المواضع بأنها من مبتكرات القرآن وانما

---

(١) = : م.ن : ١/١١٣-١١٧ .

(٢) م.ن : ١/١١٧ .

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ٢٤٦ (هامش) .

استهلها بعبارات الاحتمال والترجيح والظن والترشيح منها : ولعله من مبتكرات القــرآن ، وأحسب أنه من مبتكرات القرآن ، ويحتمل أن يكون ... ، والظاهر أن هــذاالتركيب مــن مبتكرات القرآن ، وسوف نرى ذلك جلياً في أثناء البحث ، وسأقتصر علــى المبتكــرات البلاغية تحقيقاً للعنوان الذي ينص على هذا القيد وهي معظمها .

## المبحث الثاني

## مبتكرات القرآن البلاغية – عرض وتحليل

**- مبتكرات القرآن في النظم والتركيب**

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم جاء بطريقة منفردة في نظم الكلام وتركيبه حتى بلغ حد الإعجاز ، وذلك لما أبدعه من ضروب النظم ووجوه تعليق الكلم وما يترتب عليه من المعاني الدقيقة والمقاصد الشريفة ، فهو وإن كان غير خارج عن نواميس اللغة وقــدراتها إلا أنه لا يدانيه في ذلك أرباب اللغة وأعلامها ، (وذلك أنك حين تنظر في تركيبه لا ترى –كيفما أخذت عينك منه- إلا وضعاً غريباً في تأليف الكلمات ، وفــي مســاق العبــارة ، وبحيث تبادرك غرابته من نفسها وطابعها بما تقطع أن هذا الوضع وهذا التركيب ليس في طبع الانسان ، ولا يمكن أن يتهيأ له ابتداءً واختراعاً دون تقديره على وضع يشــبهه ، او احتذاء لبعض أمثلة تقابله)[1] ذاك أنه وان كان لا يناقض قوانين اللغة ولكنه ليس من نظم البشر فهو كما قيل : سهل ممتنع .

**- مبتكرات القرآن في النظم :**

**١. قال تعالى M ª » ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ L [الزمر : ١٩] .**

وردت هذه الآية الكريمة في سياق تأكيد مضمون ما تقدمها مــن ذكــر المشــركين وتهديدهم وبيان حسن مقام المؤمنين وتبشيرهم . قال ابن عاشور : (وقد جاء نظم الكــلام على طريقة مبتكرة في الخبر المهتم به بأن يؤكد مضمونه الثابت للخبر عنه بإثبات نقيض أو ضد ذلك المضمون لضد المخبر عنه ليتقرر مضمون الخبر مرتين مرةً بأصله ومــرة

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ١٩٥ .

بنقيضه أو ضده ، لضد المخبر عنه ...)[1] . والذي يعنيه ابن عاشور أن هذه الآية جاءت مؤكدة لما تقدمها بطريقة (نفي الضد) مما تقدم في السياق باثبات عكس ذلك للمؤمنين ، والمراد بالاثبات هو التأكيد المفاد من اسلوب القصر بالتقديم في قوله تعالى : M لَهُمْ الْبُشْرَى L [الزمر : ١٧] والقصران الآخران بالتعريف وبضمير الفصل في قوله تعالى : M أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ¥ ¦ § ¨ L [الزمر : ١٨] وما أفاد هذا السياق من أن سواهم وهم المشركون لا بشرى لهم ولم يهدهم الله ولا ألباب لهم لعدم انتفاعهم بعقولهم ، وكان حاصل ذلك أن المشركين محرومون من حسن العاقبة بالنعيم الخالد لحرمانهم من الطاعة التي هي سببه ؛ ولذلك فرع عليه الاستفهام الإنكاري في M ª « ¬ ® ¯ L لإفادة التنبيه على انتفاء الطماعية في هداية الفريق الذي حق عليه كلمة العذاب، وهم الذين قصد اقصاؤهم عن البشرى والهداية والانتفاع بالعقول بأساليب القصر المتقدمة. وبهذا يظهر حسن موقع الفاء لتفريع هذه الجملة على جملة M أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ £ ¥ ¦ § ¨ L؛ لأن التفريع يقتضي اتصالاً واربتاطاً بين المفرّع والمفرّع عليه[2] .

وهذه الآية المفرّعة والمؤكدة لضد مضمون ما تقدمها هي الأخرى جاءت في غاية الاعجاز ، إذ المقصود من قوله تعالى M ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ L، أفمن وجبت عليه كلمة العذاب في سابق علم الله بكفره به أفأنت تنقذه[3] . و(من) الأولى موصولة مبتدأ حذف خبره ، والتقدير : تنقذه من النار ، كما دل عليه ما بعده . وجملة M ° ± ² ³ ´ L تذييل مؤكد ، أي : أنت لا تنفذ الذين في النار ، فقدم المفعول وجعله عمدة الكلام ليقرع السمع ويُترقب الخبر عنه ، ثم حذف خبره ليكون أهول فتذهب النفس فيه كل مذهب . أو أن تكون جملة M ° ± ² ³ ´ L خبره ، فتكون الفاء مؤكدة للأولى ، وتكرار الاستفهام الإنكاري لتأكيد ذلك الإنكار والاستبعاد ، ويكون تقدير

---

(١) التحرير والتنوير : ٥٣/٢٤ .

(٢) = : م.ن : ٥٣/٢٤ .

(٣) = : جامع البيان في تأويل آي القرآن ، الطبري : ٢١٠/٢٣ .

الكلام : الذين تحق عليهم كلمة العذاب أنت لا تنقذهم من النار ويكون الاستفهام الانكاري جارياً على غالب استعماله من توجهه إلى كلام لا شرط فيه[١] .

وإما أن تكون (من) شرطية والتقدير : أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه ، فدخلت همزة الاستفهام على اسم الشرط لانكار مضمونها ، ثم دخلت الفاء لعطفها على جملة مستتبعة لها مقدرة بعد الهمزة ليتعلق الانكار والنفي بمضمونيهما معاً ، أي : أأنت مالك أمر الناس فمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه ، ثم كررت الهمزة في الجزاء لتأكيد الإنكار وتذكيره لما طال الكلام . ويجوز أن يكون جواب الشرط محذوفاً وجملة **M ° ± ² ³ ´ L** مستقلة لتقرير مضمون الأولى وتعيين ما حذف منها وتشديد الانكار بتنزيل من استحق العذاب منزلة من دخل النار[٢] .

وعلى حمل الكلام على أنه جملة واحدة يكون قوله تعالى **M ° ± ² ³ ´ L** جارياً على سبيل الاظهار في مقام الاضمار لافادة تهويل حالهم لما في حرف الظرفية من التصوير لإحاطة النار بهم ، أي : فأنت تريد إنقاذهم من الوقوع في النار وهم الآن في النار لأنه محقق مصيرهم الى النار ، فشبه تحقق المصير بتحقق الحال تشهيراً لحالهم ، وإظهاراً لخسة منازلهم[٣] .

وفائدة ذكر (كلمة) الاشارة الى أن ذلك هو أمر الله تعالى ووعيده دلالة على سرعة إمضاء العذاب وإنجازه فيهم ، فضلاً عما في تذكير الفعل (حقّ) من تجريده من معنى اللين للتأكيد على النهي عن الأسف عليهم وإجهاد النفس في الإصرار على هدايتهم[٤] . وتقديم المسند اليه على الخبر الفعلي في **M ° ± L** لتقوية الحكم ، وهو إنكار أن يكون النبي ﴿ﷺ﴾ قادراً على إنقاذهم بتكرير دعوته ، وفيه تلويح بأنه لا يقدر على ذلك أحد إلا الله تعالى[٥] . وفي الخطاب تهوين على النبي ﴿ﷺ﴾ لشدة حرصه وحزنه على عدم

---

(١) = : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: ٤٨١/١٦ ، التحرير والتنوير : ٥٤/٢٤-٥٥.

(٢) = : معاني القرآن واعرابه، الزجاج: ٢٦٣/٤، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري: ٩٣٧، ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود: ٣٨٦/٥.

(٣) = : الكشاف : ٩٣٧ ، البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي: ٤٠٥/٧ ، التحرير والتنوير: ٥٥/٢٤ .

(٤) = : نظم الدرر : ٤٨١/١٦ ، التحرير والتنوير : ٥٥/٢٤ .

(٥) = : البحر المحيط : ٤٠٥/٧ ، ارشاد العقل السليم : ٣٨٦/٥ .

انصياعهم وان كان لا يظن أنه قادر على انقاذهم من وعيد الله تعالى ، ولذلك عبر بفعل الإنقاذ تشبيها لحاله ﴿ﷺ﴾ في حرصه على هدايتهم ، ولحالهم في انغماسهم في موجبات وعيدهم بحال من يحاول إنقاذ ساقط في النار قد أحاطت به من كل جانب ، فحذف المركب الدال على الحالة المشبه بها ، ورمز الى معناه بذكر شيء من ملائمات ذلك المركب المحذوف وهو فعل **M ± ² ³ ´ L** الذي هو من ملائمات وقوعهم في النار على طريقة (التمثيل بالمكنية) أي : إجراء الاستعارة المكنبة في المركب بقرينة انقاذ من في النار الذي هو بدوره استعارة تحقيقية ، وبهذا يكون الانقاذ قد أطلق مجازاً على الإلحاح من باب إطلاق المسبب على السبب ، وهذه الاستعارة بحد ذاتها تُعد من مبتكرات القرآن البلاغية ، ولم يلتفت اليها الا فرسان البيان العربي ، إذ المحت الى ما غُفل عنه في علم البيان من تقسيم الاستعارة التمثيلية الى مصرحة ومكنية[1] . وبذلك تكون هذه الآية قد اشتملت على نكت بديعة هي غاية في الاعجاز البلاغي ومعان جليلة غاية في البيان ، وايداع ذلك كله في جملتين هو نهاية الايجاز .

**٢. قال تعالى: L T S R Q P O N M L K J I H M [محمد: ١٤].**

هذه هي الآية الثانية التي عدها ابن عاشور من مبتكرات نظم القرآن ، وذلك من خلال الملاحظة الدقيقة والنظرة البيانية الشاملة الى عموم النص المعجز ، إذ وقف على الدور البياني لادوات الربط بين الآيات المتعددة وموقع كل منها باعتبار النص ، ومرجعيات الإحالة لتلك الروابط ، وإمكانية تعددها ، وهذه النظرة التي تجاوزت نظم الجملة الواحدة الى نظم الآية ونظم النص الكامل قد أشار اليها الباقلاني وعدّها من وجوه الإعجاز[2] ، ولكن ابن عاشور أحال ذلك الى واقع تطبيقي تجنى ثماره في تفسيره البلاغي .

قال ابن عاشور في تعليقه على هذه الآية : (تفريع على جملة **L F E D C M** [محمد : ١٣]، لتحقيق أنهم لا ناصر لهم تحقيقاً يرجع الى مافي الكلام من المعنى

---

(١) = : الكشاف : ٩٣٧ ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الآلوسي : ٣٣٣/٢٣ ، التحرير والتنوير : ٥٦/٢٤ .

(٢) = : اعجاز القرآن : ٣٥-٣٧ .

التعريضي فهو شبيه بالاستئناف البياني جاء بأسلوب التفريع . ويجوز مع ذلك أن يكون مفرعاً على ما سبق من قوله **M ! " # $ % & ' L** [محمد : ١٢]، فيكون له حكم الاعتراض لأنه تفريع على اعتراض . وهذا تفنن في تلوين الكلام لتجديد نشاط السامعين هو من الأساليب التي ابتكرها القرآن في كلام العرب)[١] .

ومعنى الآية **M H I J K L** على برهان وحجة وبيان **LLM** أمر **L M M** والعلم بوحدانيته فهو يعبده على بصيرة منه ، بأن له رباً يجازيه على طاعته إياه الجنة وعلى معصيته إياه النار كمن حسن له الشيطان قبيح عمله وسيئه فأراه جميلاً[٢] . والآية من الاحتباك فقد ذكر البينة أولاً دليلاً على ضدها ثانياً ، والتزيين واتباع الهوى ثانياً دليلاً على ضدها أولاً ، وسرّه أنه ذكر الأصل الجامع للخير ترغيباً ، والأصل الجامع للشر ترهيباً[٣] .

والاستفهام لانكار مضمون الجملة من التشابه بين الطرفين ورد في سياق التقرير والتوقيف على تباين حال الفريقين وكون المؤمنين في أعلى عليين والكافرين في أسفل سافلين وبيان لعلة ما لكل منهما من الحال[٤] . وفيه إلفات الى الفرق الواضح والبون الفاضح بين الفريقين ، والتشبيه على ذلك من قبيل التشبيه المرسل المجمل إذ ذكر الأداة وحذف وجه الشبه لأنه مما لا يخفى على متبصر ثم إنه متباين من جميع الوجوه لما في الحذف من اتساع المعنى وإفادة العموم .

وفي التعبير بوصف الرب وإضافته الى ضمير الفريق في حيز الموصول الأول تشريف وتنبيه على زلفى الفريق الذي تمسك بالحجة والبرهان . ووصف البينة بأنها من الله يفيد أن الله تعالى أرشدهم إليها ، وتزكية لتمامها وكمالها ، و(على) للاستعلاء المجازي لافادة التمكن ، وبناء الفعل (زُين) للمجهول ليشمل المزينين لهم من أئمة كفرهم

---

(١) التحرير والتنوير : ٧٨/٢٦ .

(٢) = : جامع البيان : ٥٠/٢٦ .

(٣) = : نظم الدرر : ٢١٨/١٨ .

(٤) = : البحر المحيط : ٧٨/٨ ، إرشاد العقل السليم : ٨٦/٦ .

، وما سولته لهم عقولهم من أفعالهم السيئة ، وفيه ايضا تنبيه لهم ليرجعوا الى أنفسهم فيتأملوا فيمن زين لهم سوء أعمالهم[١] .

**- مبتكرات القرآن في التركيب :**

**١. قال تعالى: M ! " # % & ' ) * + , - . / L 5 4 3 2 1 0 [الأنفال : ١].**

ومناط الابتكار عند ابن عاشور في قوله تعالى **M * + , - . / L** إذ يقول فيه : (واعلم أني لم أقف على استعمال (ذات بين) في كلام العرب فأحسب أنها من مبتكرات القرآن)[٢] . والجملة عنده تفريع على جملة **M & ' ) L** رفعاً لما وقع بين الصحابة (رضي الله عنهم) من الخلاف حول مستحق الأنفال ورفعاً لما وقع في نفس من كان يظن أنه أحق بها تبعاً لعوائده السالفة ، وقدم الأمر بالتقوى لأنها جامعة للطاعات، وعطف عليه الأمر باصلاح ذات البين لأنهم اختصموا واشتجروا ، فالأمر موجه لاصلاح ما فسد بينهم فأمرهم بالتصافح ، ثم ختم الأمر بالطاعة[٣] . فكان توسيط الأمر باصلاح ذات البين بين الأمر بالتقوى والأمر بالطاعة لإظهار كمال العناية به بحسب المقام وليندرج الأمر به بعينه تحت الأمر بالطاعة[٤] ، فهو على هذا من باب عطف الخاص على العام للإلفات الى هذا الخاص وبيان مدى أهمية ترسيخه في نفوس المسلمين ، فضلا عن التحذير من ضده لأن الأمر بالشيء نهي عن خلافه .

واتُسع في تأويل تركيب **M - . / L** وتوجيهه وخلاصته أن (بين) هي مؤنث (ذو) الطائية التي بمعنى (صاحب) . ووقع في كلام العرب مضافاً الى الجهات والأزمان ، فهم يجرونه مجرى الصفة لموصوف يدل عليه السياق كقوله تعالى: **M a b c d e L** [الكهف : ١٨]، على تأويل : جهة ، وجرت مجرى المثل في

---

(١) = : التحرير والتنوير : ٢٦/٧٨-٧٩ .

(٢) التحرير والتنوير : ٩/١٣-١٤ .

(٣) = : م.ن : ٩/١٢-١٣ .

(٤) = : روح المعاني : ٩/٢١٧ .

ملازمتها هذا الاستعمال[١] . أو على تأويل : الحال ، أي : أصلحوا أحوال بينكم[٢] ، ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال إلفة ومحبة ، فجُعل ما بينهم من الحال لملابستها التامة لبينهم صاحبة له كما جُعلت الأمور المضمرة في الصدور M ¬ ® L [آل عمران : ١١٩]، فجعل ذلك من لوازم الإيمان ليُعلم أن كمال الايمان موقوف على تحصيله[٣] ، أو على تأويل : الأقوال ، أي : أصلحوا ذات بينكم من الأقوال[٤] ، وهذا يدخل ضمناً في التوجيه السابق . وفي ذلك تلويح بأنه يجب أن يكون ما بينهم على أعلى درجات التقارب والتوادد والتآلف والتواصل ؛ لأنه وصف ما بينهم من الأمور المعنوية المجردة بأنها (ذات) ملازمة لهم بما فرض الله عليهم من التلاحم للدفاع عن هذا الدين والامتثال لما تقتضيه شريعة المسلمين .

ويجوز أن تكون (ذات) أصلية الألف ، على معنى الحقيقة ، أي حقيقة الشيء وماهيته. قال الزجاج : (معنى (ذات بينكم) حقيقة وصلكم والبين الوصل ، ... فالمعنى : اتقوا الله وكونوا مجتمعين)[٥] ، فتكون بذلك مقحمة لتحقيق الحقيقة ، وقد قدمت للتأكيد وكان حقها التأخير ، فالمعنى أصلحوا بينكم ، و(ذات) مفعول به على أن (بين) خرجت عن الظرفية الى الاسمية كما قرئ M Ú Û Ü L [الأنعام : ٩٤] برفع بينكم[٦] . فأضيفت اليه (ذات) فصار المعنى : أصلحوا حقيقة بينكم ، أي : اجعلوا الأمر الذي يجمعكم صالحاً غير فاسد ، ويجوز أن ينزل فعل (أصلحوا) منزلة الفعل اللازم قصداً للأمر بايجاد الصلاح لا باصلاح شيء فاسد ، وتنصب (ذات) على هذا على الظرفية لاضافتها الى ظرف المكان ، والتقدير : وأوجدوا الصلاح بينكم ، كما على قراءة M Ú Û Ü L

---

(١) = : م.ن : ٢١٧/٩ ، التحرير والتنوير : ١٣/٩ .

(٢) = : جامع البيان : ١٩٠/٩ .

(٣) = : الكشاف : ٤٠٢ ، إرشاد العقل السليم : ١٧٦/٣ .

(٤) = : التفسير الكبير ، الرازي : ٩٤/٨ .

(٥) معاني القرآن واعرابه : ٣٢٤/٢ .

(٦) وهي قراءة ابن كثير وابي عمرو وغيرهم : = : كتاب السبعة في القراءات ، ابن مجاهد : ٢٦٣ .

وهي القراءة المشهورة في النص المصحفي بنصب بينكم ، أي : لقد وقع التقطيع بينكم[١].

وجواب شرط M 3 4 5 L يدل عليه مجمل ما تقدمه ، أي : إنا أمرناكم بما ذكر إن كنتم مؤمنين ، لأنا لا نأمر بذلك غير المؤمنين ، وفيه إلهاب لنفوسهم على الامتثال . والإتيان بـ (إن) الشرطية ليس تعريضاً بضعف إيمانهم ، ولكن لإفادة التحريض لاظهاره في أحسن صوره ومظاهره وذلك يكون بالامتثال للأوامر المتقدمة من التقوى الجامعة لخصال الدين ، وإصلاح ذات البين ، وطاعة رسول الله ﴿ﷺ﴾[٢] .

**٣. قال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : L [يوسف : ٢٣] .**

ويكمن الابتكار في قوله تعالى : M ! " # $ % & ' L قال فيه ابن عاشور : (والظاهر أن هذا التركيب من مبتكرات القرآن)[٣] . وقد وردت الآية معطوفة على ما قبلها من حلقات قصة يوسف ﴿عليه السلام﴾ ، والمراودة : المطالبة برفق من راد يرود اذا ذهب وجاء لطلب الشيء . وهي مفاعلة من طرف واحد نحو : دوايت المريض وغيره مما يكون من أحد الجانبين الفعل ومن الآخر سببه لكنها جُعلت كأنها صادرة عنهما، وكذلك مراودتها ليوسف ﴿عليه السلام﴾ عن نفسه لجماله ، نزّل صدورها عن محالّها بمنزلة صدور مسبباتها ، فبنى الصيغة على ذلك وروعي جانب الحقيقة بأن أسند الفعل الى الفاعل وأوقع على صاحبه السبب[٤] .

وقد يراد تكرير المحاولة بصيغة المفاعلة للدلالة على المبالغة في طلب الفعل ، شبّه المحاول أحداً على فعل شيء مكرراً ذلك بحال من يذهب ويجيء في المعاودة الى الشيء المذهوب عنه ، فضمن راود معنى حاول[٥] . أو أن يراد بالمفاعلة الدلالة على اختلافهما فيه بأن يكون منها الطلب ومنه الترك والامتناع وهذا أبلغ ، ولما كان الأمر منازعة عدّي

---

(١) = : التحرير والتنوير : ١٣/٩ .

(٢) = : م.ن : ١٤/٩ .

(٣) = : التحرير والتنوير : ٤٥/١٢ .

(٤) = : البحر المحيط : ٢٩٤/٨ ، روح المعاني : ٥٥١/١٢ .

(٥) = : روح المعاني : ٥٥١/١٢ ، التحرير والتنوير : ٤٥/١٢ .

بـــ (من) للدلالة على الابعاد وتحصيل الجذب البالغ ، أو أنها راودته مباعدة له عن نفسه، أي بأن يجعل نفسه لها ، فالنفس كناية عن غرض المواقعة[١] . والمعنى : خادعتـــه عـــن نفسه مريدة عفافة وتمكينها منه ، فكأنها تراوده عن أن يسلم إليها إرادتـــه وحكمـــه فـــي نفسه[٢] . والتعبير عن امرأة العزيز بطريق الموصولية يؤيد ذلك لمـــا تـــؤذن بـــه صـــلة الموصول من تقرير عصمة يوسف ﴿عليه السلام﴾ ، لأن كونه في بيتها من شـــأنه أن يطوعـــه لمرادها ، وفي ذلك إظهار لكمال نزاهته ، ومناداة بكونه في أعلى معارج العفة ، فضـــلا عن عدم التصريح باسمها ستراً على الحرم[٣] .

**٣. قال تعالى: M Z Y X ] \ [ ^ _ ` a c d**
**e g h i j k l m n o p q r s t u v**

**أَرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ L [ابراهيم : ٩].**

وموطن الشاهد على الابتكار هو في قوله تعالى : **L r q p o M** قـــال فيه ابن عاشور : (وضمائر (ردّوا) و(أيديهم) و(أفواههم) عائد جميعها الـــى قـــوم نـــوح والمعطوفات عليه . وهذا التركيب لا أعهد سبق مثله في كلام العرب فلعله من مبتكـــرات القرآن)[٤] . والآية واردة في سياق الاستئناف الابتدائي لتوجيه الخطاب الى المشركين بعد عرض قصة موسى ﴿عليه السلام﴾ على طريقة الالتفات . وقد استفتحت بالاســـتفهام الانكـــاري لارادة التوقيف والتقرير لانهم قد بلغتهم أخبار الأقوام التي تعرضت لذكرهم الآيـــة ومـــن جاء بعدهم ، وجاءت جملة **L j i h gM** اعتراضية للكنايـــة عـــن الكثـــرة التـــي يستلزمها انتفاء علم الناس بهم . و **L m l M** أي : جاء كل أمة رسولها[٥] .

أما الضمائر الثلاثة في موطن الشاهد على الابتكار فانهـــا تحتمـــل أن تعـــود الـــى مرجعيتين هما أقوام الرسل من الكفار ، والرسل أنفسهم ، وتبع هذا الاحتمـــال توجيهـــات

---

(١) = : جامع البيان : ١٨٨/١٢ .

(٢) = : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية الاندلسي : ٤٧١/٧ .

(٣) = : البحر المحيط: ٢٩٤/٨ ، الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه ، محمود صافي : ٤١٢/٦.

(٤) التحرير والتنوير : ٢٢٨/١٢ .

(٥) = : م.ن : ٢٢٨/١٢ .

عدة ، والذي رجحه ابن عاشور وعدّه من مبتكرات القرآن هو اتحاد المرجع وهم أقوام الرسل ، أي أنهم وضعوا أيديهم على أفواههم إخفاءً لشدة الضحك من كلام الرسل كراهية أن تظهر دواخل أفواههم وذلك تمثيل لحال الاستهزاء بالرسل وهو أحد توجيهات الزمخشري[١] . والرد مستعمل في معنى تكرير جعل الأيدي في الأفواه[٢] ، أي أنهم وضعوها على أفواههم ثم أزالوها ثم أعادوا وضعها . والإتيان بالحرف (في) للظرفية المجازية لارادة التمكين ، فهي بمعنى (إلى)[٣] ، أو (على) ، أي : جعلوا أيديهم على أفواههم[٤] ، وقيل : بل الأولى أن تكون بمعناها والمراد التمكن[٥] ، ثم إن حملها على معنى (إلى) أقرب الى المراد من حملها على معنى (على) . وعطفه بفاء التعقيب يشير إلى أنهم بادروا برد أيديهم في أفواههم فور تلقيهم دعوة الرسل ، وهذا يقتضي أن يكون رد الأيدي في الأفواه تمثيلاً لحال المتعجب المستهزئ ، فالكلام تمثيل للحالة المعتادة وليس المراد حقيقة[٦] . وقال القرطبي : (جعل أولئك القوم أيدي أنفسهم في أفواههم ليعضوها غيظاً مما جاء به الرسل ، إذ فيه تسفيه أحلامهم وشتم أصنامهم)[٧] . وحمل الكلام على الحقيقة أولى من حمله على المجاز ولاسيما اذا كان المعنى مستقيماً مستوفياً المراد ، والذي أرجحه هنا هو حمل الكلام في ردّ الأيدي في الافواه على حقيقته لاستقامة المعنى ولا يمنع ذلك من المعاني المفهومة على سبيل الكناية من الاستهزاء أو التعجب وغيرها .

**٤. قال تعالى: M % & ' ) ( * + , - . L [الشورى : ٣] .**

وردت الآية في سياق الاستئناف الابتدائي ، ومناط الابتكار في تركيبها هو الإتيان باسم الاشارة (كذلك) دون أن يتقدمه ما يحتمل أن يكون مشاراً اليه ، لذلك عُلم أن المشار

---

(١) = : الكشاف : ٥٤٦ .

(٢) = : المفردات في غريب القرآن ، الراغب الاصفهاني : ١٩٨ .

(٣) = : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الانصاري : ١٦٩ .

(٤) = : التحرير والتنوير : ٢٢٨/١٢ .

(٥) = : شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب : ٣٦٢/٢ .

(٦) = : التحرير والتنوير : ٢٢٨/١٢-٢٢٩ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن : ٢٢٦/٩ .

إليه مقدّر معلوم من الفعل الذي بعد اسم الاشارة وهو المصدر المأخوذ من الفعل ، أي : كذلك الايحاء يوحي اليك الله تعالى ، قال ابن عاشور : (وهذا استعمال متبع في نظائر هذا التركيب كما تقدم في قوله تعالى : M : ; > = L [البقرة : ١٤٣] وأحسب أنه من مبتكرات القرآن)[١] . ومعنى الآية على هذا التقدير : مثل هذا الوحي يوحي الله اليك ، فالمشار اليه الايحاء المأخوذ من الفعل (يوحي) ، أو أن تكون الاشارة الى مضمون ما في السورة من المعاني والحكم والقصص ، والكاف تقع في حيز النصب على أنها نعت للمصدر المقدر من الفعل (يوحي) على الأول ، أو على أنها مفعول به له على الثاني ، والإتيان باسم الاشارة للبعيد للايذان بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته في الفضل . أي مثل إيحاء هذه السورة أوحي إليك عند ايحاء السور وإلى سائر الرسل عند ايحاء كتبهم اليهم لا ايحاءً مغايراً أو مثل ما في هذه السورة من المعاني أوحي اليك في سائر السور والى من قبلك من الرسل في كتبهم[٢] .

والغرض من التشبيه (المرسل المجمل) هو اثبات التسوية سواء في التشبيه الصريح في M % & ' L أو ما جاء على سبيل الإدماج في M ) ( * + L ، أي : ليس وحي الله تعالى إليك الا على سنة وحيه الى الرسل من قبلك ، أو ليس مضمون هذه السورة من الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق وما فيه من صلاح العباد في المعاش والمعاد ، الا مثل مضمون ما أوحي الى الرسل من قبلك ، وفي جعل إيحاء السورة أو مضمونها ، وما في حيزهما مشبّهاً به من التفخيم ما لا يخفى[٣] .

والجار والمجرور صفة لمفعول مطلق محذوف دل عليه (يوحي) أي ايحاء كذلك الايحاء العجيب . والعدول بالفعل الى صيغة المضارع للدلالة على أن ايحاءه متجدد لا ينقطع مدة حياته ﴿ﷺ﴾ تيئيساً للمشركين من إقلاعه عنه ، وفيه ايضا تبشير باستمرار الوحي شداً لعزمه ومواصلة دعوته ، وكذلك في هذا العدول استحضار لصورة متعلق الايحاء الثاني وهو M ) ( * + L بجعل المضارع يستحضر صورة الايحاء الى

---

(١) التحرير والتنوير : ٩٩/٢٥ .

(٢) = : معاني القرآن وإعرابه : ٢٩٨/٤ ، ارشاد العقل السليم : ٧/٦ ، روح المعاني : ١٧/٢٥ .

(٣) = : إرشاد العقل السليم : ٢٧/٦ ، التحرير والتنوير : ٩٨/٢٥ .

الرسل حيث استبعد المشركون وقوعه وذلك بجعله مشاهداً ، ولفظ الجلالة فاعل ، وإجراء وصفي M - . L على اسم الجلالة دون غيرهما لما لهاتين الصفتين من فريد الاختصاص بالغرض المقصود من أن الله تعالى يصطفي من يشاء لرسالته ، فـ (العزيز) المتصرف بما يريد لا يصده أحد ، و(الحكيم) يحمل كلامه معاني لا يبلغ الى مثلها غيره[١] .

**مبتكرات القرآن في علم البيان**

**- المجاز العقلي (الحكمي) :**

قال تعالى : M _ ` L [النبأ : ١٦] .

ويكمن الابتكار في هذه الآية عند ابن عاشور في وصف الجنات على سبيل المجاز العقلي بـ (ألفافا) ، إذ يقول فيه : (فوصف الجنات بألفاف مبني على المجاز العقلي ، لأن الالتفاف في أشجارها ولكن لما كانت الاشجار لا يلتف بعضها على بعض في الغالب الا اذا جمعتها جنة أسند ألفافاً الى جنات بطريق الوصف . ولعله من مبتكرات القرآن إذ لم أر شاهداً عليه من كلام العرب قبل القرآن)[٢] . ومعنى M _ ` L ملتفة مجتمعة تداخل بعضها ببعض ، ليس بينها خلال ، فألفاف جمع الجمع ، يقال : جنة لفّاء وجنان لُفّ ، وجمع لُفّ ألفاف[٣] . وذهب الطبري إلى أن الالفاف جمع لِفّ أو لفيف[٤] . فهو بذلك صفة مشبهة بمعنى ملفوف وفِعل يجمع على أفعال[٥] . ورجح ابن عاشور أن يكون (ألفاف) اسم جمع لا واحد له من لفظه ، فكل جنة ملتفة ، أي ملتفة الشجر بعضه ببعض وهذا عنده أظهر الوجوه[٦] . فيكون الابتكار على هذا الإجراء هو في علاقة جديدة من علاقات المجاز العقلي أظهرها الاستعمال القرآني في عرض صوره البيانية وهي الاسناد المجازي بطريق الوصف ، إذ اظهرت هذه الصورة قدر النعمة الإلهية على بني الانسان

---

(١) = : روح المعاني : ١٧/٢٥ ، التحرير والتنوير : ٩٩/٢٥-١٠٠ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢٥/٣٠ .

(٣) = : مجاز القرآن ، أبو عبيدة : ٢٨٢/٢ .

(٤) = : جامع البيان : ٩/٣٠ .

(٥) = : روح المعاني : ٢٩٤/٣٠ .

(٦) = : التحرير والتنوير : ٢٥/٣٠-٢٦ .

في معرض التذكير بالنعم الإلهية الموجبة لشكر المنعم عليها ، وهي صورة الجنان الوارفة الظلال ، اليانعة الثمار لكمال إنبات أشجارها وكثافتها والتفافها مع بعض حتى جرت صفة الالتفاف على الجنات لا على الاشجار لشدة ظهور تلك الصفة على أشجارها وكأن كل جنة بدت شجرة عظيمة كثيفة الاوراق والأغصان وقد عانقت ما حولها من الجنان .

**- الاستعارة :**

**١. قال تعالى : L u t s ا q p o n m ا k j M [البقرة : ١٣٨] .**

قال ابن عاشور : (وإطلاق اسم الصبغة على المعمودية يحتمل أن يكون من مبتكرات القرآن ، ويحتمل أن يكون نصارى العرب قد سموّا ذلك الغسل صبغة ، ولم أقف على ما يثبت ذلك من كلامهم في الجاهلية)[١] . وان كان ظاهر كلام الراغب يشير الى أنه إطلاق قديم إذ يقول : (وكانت النصارى اذا ولد لهم ولد غمسوه بعد السابع في ماء عمودية يزعمون أن ذلك صبغة)[٢] . وفي الاصل هي الماء الذي يغتسل به اليهود عنواناً على التوبة لمغفرة الذنوب ، وعند النصارى هي الاغتسال رمزاً للتطهر الروحاني، وكان عيسى ﴿عليه السلام﴾ قد عمّد الحواريين فتقررت سنة عند النصارى[٣] . أما المراد بـ **L ا k j M** في الآية الكريمة: دين الله ، وهي فطرته التي فطر الناس عليها، إذ كانت اليهود والنصارى يهوّدون أبناءهم وينصّرونهم فهذه الملة فطرة الله ، أي ملة ابراهيم ﴿عليه السلام﴾ ، واختياره لمن سبقت له السعادة[٤] . أو يراد بها الختانة التي اختتن بها ابراهيم ﴿عليه السلام﴾ فقال تعالى : قل **L ا k j M** يأمر بها محمداً ﴿ﷺ﴾ فجرت الصبغة على الختانة ، لأن النصارى كانوا يصبغون اولادهم في ماء ويقولون هذه طهرة لهم كالختان

---

(١) م.ن : ٧٢٣/١ .

(٢) المفردات في غريب القرآن : ٢٧٨ .

(٣) = : التحرير والتنوير : ٧٢٢/١-٧٢٣ .

(٤) = : مجاز القرآن : ٥٩/١ ، جامع البيان : ٦٥٨/١ .

للحنفاء ، فقال تعالى : **M j k L** ، أي الزموا صبغة الله لا صبغة النصارى أولادهم، والمراد بها ملة ابراهيم ﴿عليه السلام﴾[1] .

وأياً ما كان فاطلاق الصبغة على المعمودية أو على الاغتسال به هو استعارة مبنية على تشبيه وجهه تخييلي ، إذ تخيلوا أن التعميد يكسب المعمّد به صفة النصرانية ويلونه بلونها كما يلون الصبغ ثوباً مصبوغاً ، فلما كانت المعمودية مشروعة لهم لغلبة تأثير المحسوسات على عقائدهم ردّ عليهم بأن صبغة الاسلام الاعتقاد والعمل المشار اليهما بقوله تعالى: **M 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q L** [البقرة : ١٣٦] . أي إن كان إيمانكم حاصلاً بصبغة القسيس فإن إيماننا بصبغ الله وتلوينه ، أي تكييفه الايمان في الفطرة مع إرشاده إليه . فاطلاق الصبغة على الايمان استعارة علاقتها المشابهة الخفية التي حسنّها قصد المشاكلة[2] . فزاد ذلك الاستعارة حسناً الى حسنها ، وبهاءً ورونقاً وماءً بهذا التواشج البديع .

وتكمن بلاغة الاستعارة في هذا التوظيف البديع والإلفات اللطيف لأهل الكتاب الى العقيدة السليمة والايمان الحق الراسخ لا التظاهر والادعاء مع خواء الجوهر والانحراف عن المنهج القويم الذي أراده الله تعالى لعباده ، فأمر نبيه ﴿ﷺ﴾ بمخاطبتهم بما يفهمون ، وبما يستدعي استحضار ما هم عليه مع دين الفطرة السليمة ، بهذه الصورة التجسيمية إذ عبر بالصبغ عن التطهر بالايمان لظهور أثره ظهور أثر الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تدخله فيه وصار حلية لهم على سبيل الاستعارة التحقيقية التصريحية . وكذلك لما كان إيمان العرب إيماناً سريعاً وانتقالهم من حال الضلال الى الهدى المبين من غير مدة جعله الله تعالى كأنه صبغة لهم كما يصبغ الثوب في الوقت فيستحيل من لون الى لون في مقابلة ما يصبغه أهل الكتاب بأتباعهم[3] .

**٢. قال تعالى : M F E D C B A L K J I H G F E M L [الأعراف : ١٩٩] .**

---

(١) = : معاني القرآن ، الفراء : ٨٣/١ ، تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة : ١٤٩ .

(٢) = : الكشاف : ٩٩ ، التحرير والتنوير : ٧٢٣/١-٧٢٤ .

(٣) = : نظم الدرر : ١٩٣/٢ ، روح المعاني : ٥٤١/١ ، الجدول في إعراب القرآن : ٢٨٠/١ .

والمعنى العام للاية : خذ العفو من أخلاق الناس ، واترك الغلظة عليهم ، وقد أمر به النبي ﴿ﷺ﴾ في المشركين ، وأن يأمر الناس بالمعروف بكل معانيه ، وبالإعراض عمن جهل وهو كذلك تأديب منه ﴿ﷺ﴾ لخلقه باحتمال من ظلمهم أو اعتدى عليهم ، لا بالاعراض عمن جهل الواجب عليه من حق الله تعالى ، ولا بالصفح عمن كفر به وجهل وحدانيته[١] .

وإطلاق الأخذ على قبول العفو جار على سبيل المجاز ، فـ**M E F L** : إقبله ، فهو مجاز عن القبول والرضا[٢] . قال ابن عاشور : (واستعمل هنا مجازاً فاستعير للتلبس بالوصف والفعل من بين أفعال لو شاء لتلبس بها ، فيشبه ذلك التلبس واختياره على تلبس آخر بأخذ شيء من بين عدة أشياء ، فمعنى (خذ العفو) : عامل به واجعله وصفاً ولا تتلبس بضده وأحسب استعارة الأخذ للعفو من مبتكرات القرآن)[٣] ، وهي استعارة مكنية إذ شبه ما هو معنوي وهو العفو بأمر محسوس يطلب فيؤخذ ، وذلك للإشعار بأن العفو شيء ثمين يؤخذ ويغتنم ويظفر به ، وأنه مرتبة نفيسة يحرص على الارتقاء اليها أهل البصيرة الايمانية ، والغرض منها الاشعار بأخذ ثواب العفو عند الله تعالى في العاجلة والآجلة فهو بهذا الاعتبار مجاز مرسل ايضا من باب اطلاق السبب على المسبب[٤] .

**٣. قال تعالى : M ½ ¾ ¿ À Á Â Ã L [الحاقة : ٧] .**

ومدار الابتكار في الآية الكريمة هو استعارة لفظة (حسوما) صفة للرياح . قال فيها ابن عاشور : (والحسوم مشتق من حسم الداء ، إذ يكوى ويتابع الكي أياماً ، فيكون إطلاقه استعارة ، ولعلها من مبتكرات القرآن)[٥] . على أن حسوماً جمع حاسم ، أي : يتابع بعضه بعضاً[٦] . قال الطبري : (عنى بقوله (حسوماً) متتابعة ، ... وكان بعض أهل العربية يقول : الحسوم التباع ، إذا تتابع الشيء فلم ينقطع أوله عن آخره قيل فيه: حسوم،

---

(١) = : جامع البيان : ١٦٥/٩-١٦٦ .

(٢) = : تأويل مشكل القرآن : ٥٠٢ ، روح المعاني : ١٩٤/٩ .

(٣) التحرير والتنوير : ٣٩٨/٨ .

(٤) = : روح المعاني : ١٩٤/٩-١٩٥ ، معارج التفكر ودقائق التدبر ، الميداني : ١٥٨/٥ .

(٥) التحرير والتنوير : ١٠٨/٢٩ .

(٦) = : الكشاف : ١١٣٤ ، التحرير والتنوير : ١٠٨/٢٩ .

قال : وانما اخذ –والله أعلم- من حسم الداء : إذا كوى صاحبه ، لأنه لحم يكوى بالمكواة ثم يتابع عليه)[١] . وهو مذهب الفراء والزمخشري في أحد آرائه[٢] .

وقد يكون من الحسم وهو القطع ، أي : حاسمة مستأصلة ، ومنه سمي السيف حساماً لأنه يقطع ، أي : حسمتهم فلم تبق منهم احداً ، وعلى هذين المعنيين يكون اللفظ صفة لـ M ¿ À Á Â L[٣] . أو أن يكون مصدراً ، أي : تحسمهم حسوماً وتستأصلهم استئصالاً ، أو مفعولا لأجله ، أي : سخرها عليهم للاستئصال وقطع دابرهم وإفنائهم[٤] ، (وكل هذه المعاني صالح لأن يذكر مع هذه الأيام ، فإيثار هذا اللفظ من تمام بلاغة القرآن وإعجازه)[٥] . والاستعارة باعتبار ما تقدم تمثيلية فهي وان وقعت في لفظة مفردة باعتبار اللفظ الا أنها جمعاً باعتبار المعنى ، قال الزمخشري : (متتابعة هبوب الرياح ما خفتت ساعة حتى أتت عليهم تمثيلاً لتتابعهم بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكي على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم)[٦] . فتكون هذه اللفظة بذلك غاية في البلاغة ونهاية في البيان إذ مثلت خير تمثيل الابداع والابتكار في النص القرآني في استعمال الفاظ اللغة في أعلى مستوياتها وتوظيفها بيانياً وتفتيق قدراتها التوصيلية على اداء المعنى القرآني .

**٤. قال تعالى : M ! " # $ % & ' ( ) * L [الطارق : ١-٣] .**

ومدار الابتكار في قوله تعالى : **M ( * L** الوارد في سياق الإخبار عن الاستخبار المتقدم . والثاقب : الذي يتوقد ضياؤه ويتوهج ، فيثقب بنوره وإصابته ما يقع عليه ، يقال: أثقب نارك للموقد ، أي : أضئها . وقيل : الثاقب : الذي ارتفع من النجوم ، والعرب تقول للطائر إذا لحق ببطن السماء ارتفاعاً قد ثقب[٧] . قال ابن عاشور :

---

(١) جامع البيان : ٥٥/٢٩ .

(٢) = : معاني القرآن : ١٨٠/٣ ، الكشاف : ١١٣٤ .

(٣) = : المفردات في غريب القرآن : ١٢٥ ، الكشاف : ١١٣٤ ، التحرير والتنوير : ١٠٩/٢٩ .

(٤) = : معاني القرآن واعرابه : ١٦٧/٥ ، الكشاف : ١١٣٤ ، التحرير والتنوير : ١٠٩/٢٩ .

(٥) التحرير والتنوير : ١٠٩/٢٩ .

(٦) الكشاف : ١١٣٤ .

(٧) = : معاني القرآن : ٢٠٤/٣ ، جامع البيان : ١٥٠/٣٠ ، مجاز القرآن : ٢٩٤/٢ ، المفردات في غريب القرآن : ٨٥ .

(وأحسب ان استعارة الثقب لبروز شعاع النجم في ظلمة الليل من مبتكرات القرآن ولم يرد في كلام العرب قبل القرآن)[١] . فالثاقب بذلك قد جمع بين معنيي المضيء والمحدث الثقب وهو الخرق النافذ في الشيء ، والذي يظهر أن معنى الإضاءة للكلمة يراد بها إضاءة نافذة كالخرق ، وليس لها انتشار واسع ، فهي بذلك تشبه الثقب في ستارة سوداء والمثقوب هو ظلمة الليل[٢] . فاستعير الثقب هنا لظهور النور في خلال الظلمة ، إذ شبه النجم بأداة حادة ثاقبة ، وظهور ضوئه بظهور ما يبدو من تلك الأداة من خلال الجسم الذي يثقبه كاللوح أو ما شابه ذلك على سبيل الاستعارة المكنية ، لأنه حذف المشبه به وأبقى صفته ولازمة من لوازمه وهي الثقب والنفوذ.

**٥. قال تعالى : M ¨ © ª » L [الفجر : ١٩] .**

أي : تأكلون الميراث أكلاً شديداً ، لا تتركون منه شيئاً[٣] ، وإطلاق الأكل على الانتفاع بالميراث جار على سبيل الاستعارة التصريحية ، وهي من الاستعارات المبتكرة عند ابن عاشور إذ قال فيها : (والاكل مستعار للانتفاع بالشيء انتفاعاً لا يبقي منه شيئاً . وأحسب أن هذه الاستعارة من مبتكرات القرآن إذ لم أقف على مثلها في كلام العرب)[٤] .

.

واللّمُّ : الجمع ، أي يلمون بجميعه ويأتون على آخره ، جامعين بين حلاله وحرامه ، وبين نصيبهم ونصيب غيرهم[٥] . وقد أشعرت هذه الاستعارة اللطيفة بأن المراد هو التراث الذي لاحق فيه ، ومنه يظهر وجه إيثار لفظ التراث دون غيره كأن يقال : وتأكلون المال ، لأن التراث مال مات صاحبه وأكله يقتضي أن يستحق ذلك المال عاجز عن الذب عن ماله لصغر أو أنوثة ، ووصف الاكل بالمصدر أفاد المبالغة مما يقتضي أنه ميراث بغير حق[٦] .

---

(١) التحرير والتنوير : ٢٣١/٣٠ .

(٢) = : معارج التفكر : ٢٥٧/٣ .

(٣) = : جامع البيان : ١٩٦/٣٠ .

(٤) التحرير والتنوير : ٢٩٥/٣٠ .

(٥) = : مجاز القرآن : ٢٩٨/٢ ، التفسير الكبير : ١٥٧/١٦ .

(٦) = : التحرير والتنوير : ٢٩٥/٣٠ .

**- التراكيب الجارية مجرى الأمثال :**

وهذا العنوان يعد ملحقاً ومكملاً لما سبقه من الاستعارات ، لأنه ضرب من الاستعارة التمثيلية ، وهو عبارة عن التراكيب التي لها من بلاغة التعبير وقوة التأثير ما يضاهي قوة المثل في سيرورته وصلاحيته للذيوع فيما اعتيد عليه من أمثال العرب وحكمها السائرة ، ولكنها لا تندرج تحت حد المثل القرآني بمفهومه الاصطلاحي ، ولعل أقدم من أشار اليها الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) وسماها (ما يجري مجرى الأمثال في ألفاظ القرآن) إذ عقد لها باباً خاصاً تحت عنوان : (ومن سائر ما يجري مجرى الأمثال في ألفاظ القرآن)[١] ، وتلاه بذكر طائفة من التراكيب القرآنية ولكنها غير الأمثال المقصودة التي صرّح بها القرآن الكريم أو ضمنّها مفهوم المثل الاصطلاحي ، وارتأيت أن أطلق عليها (التراكيب) بدل (الألفاظ) الجارية مجرى الأمثال لأنها من باب الاستعارة التمثيلية التي تجري في التركيب أو الصورة ، فوجه الشبه يكون فيها منتزعاً من عدة أمور من حالة أو هيئة[٢] ، أي بين معنى التركيب في مضربه الأول الذي يمثل جهة المشبه به ، والحالة الجديدة التي تمثل جهة المشبه . والقرآن الكريم بحسب بلاغته وسيرورة تراكيبه كله أمثال وحكم ، أجراها الناس أمثالاً وتداولوها استئناساً ببلاغتها واحتياجهم لمضربها حتى عادت سائرة بينهم ، فصارت أمثالاً وفقاً لمفهوم الذين تمثلوا بها والا فهي غير مقصودة كالأمثال التي ضربها القرآن الكريم صراحة أو ضمناً[٣] ، وسأقف على طائفة منها وفق ما رشحته ذائقة ابن عاشور البلاغية .

**١. قال تعالى : M لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ L [آل عمران : ١٢٨] .**

ومكمن الابتكار هو قوله تعالى : **L z y x w M** ، قال فيها ابن عاشور : (وهذه الجملة تجري مجرى المثل إذ ركبت تركيباً وجيزاً محذوفاً منه بعض الكلمات ،

---

(١) التمثيل والمحاضرة : ١٥ .

(٢) = : الاستعارة في القرآن الكريم ، أحمد فتحي رمضان ، ١٤٨ ، ١٥٤ . (رسالة ماجستير)

(٣) = : الأمثال في القرآن الكريم ، محمد جابر الفياض : ٢٦٤ ، الصورة الفنية في المثل القرآني ، محمد حسين علي الصغير : ١٠٧ ، ١١١ .

ولم أظفر فيما حفظت من غير القرآن بأنها كانت مستعملة عند العرب ، فلعلها من مبتكرات القرآن)[1] .

والخطاب موجه للنبي ﴿ﷺ﴾ بعد دعائه على المشركين ، وقد وردت الآية على سبيل الاعتراض في سياق بيان الحكمة من فرض الجهاد وتذكيره بيوم بدر خلال الاشارة الى وقعة أُحد ، فكان في هذا الأسلوب ، وفي تقسيم العقوبات إيماء الى ما يصلح بياناً لحكمة الهزيمة يوم (أحد) ، إذ كان في استبقاء كثير من المشركين ادّخار فريق عظيم منهم للاسلام ، ويجوز حمل الكلام على صريح لفظه لنفي أن يكون لقتال النبي ﴿ﷺ﴾ المشركين تأثير في حصول النصر يوم بدر مع قلة المسلمين ، وإنما حصل النصر بمحض فضل الله تعالى . والأمر هو الشأن و(أل) العهدية يراد بها النصر ، أو أن تحمل الجملة على أنها كناية عن صرف النبي ﴿ﷺ﴾ عن الاشتغال بشأن ما صنع الله تعالى بالكافرين من قطع طرفهم أو كبتهم أو تعذيبهم أو التوبة عليهم[2] .

وتخصيص النفي بالرسول ﴿ﷺ﴾ جاء على طريقة (تلوين الخطاب) للدلالة على الانتفاء من غيره بطريق الأولى . ووقوع الاعتراض في هذا الموقع بين الأحوال الأربعة من أحوال المشركين واختصاصه به لكون ما قبله من القطع والكبت من مظان أن يكون فيه للرسول ﴿ﷺ﴾ ولسائر مباشري القتال مدخل في الجملة ، وعطف M**أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ** L i عليها بعد جملة الاعتراض ليكون المعنى : إن مالك أمرهم على الإطلاق هو الله ﴿ﷻ﴾ نصركم عليهم ليهلكهم أو يكبتهم أو يتوب عليهم إن أسلموا أو يعذبهم إن أصروا على الكفر ، وانما أنت عبدُ مأمور بإنذارهم وجهادهم[3] . فضلاً عما لموقع الاعتراض من التأنيس للنبي ﴿ﷺ﴾ إذ قُدّم ما يدل على الانتقام منهم لأجله ، ثم أردف بما يدل على العفو عنهم ثم أردف ما يدل على عقابهم ففي بعض هذه الاحوال إرضاء من جانب الانتصار له ، وفي بعضها إرضاء له من جانب تطويعهم ، وانما لم يجمع السياق كل هذه

---

(١) التحرير والتنوير : ٣/٢١٥-٢١٦ .

(٢) = : م.ن : ٣/٢١٢-٢١٣ .

(٣) = : الكشاف : ١٩٤ ، البحر المحيط : ٣/٥٦ ، إرشاد العقل السليم : ٢/٣٠ .

العقوبات متوالية مراعاة لقضاء حق (جمع النظير) أولا ، وجمع الضدين ثانياً ، وذلك بجمع القطع والكبت ثم التوبة والعذاب[1] .

**٢. قال تعالى : M حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ ¨ ª » ¬ ® ° ¯ ± ² ³ ´ µ L [المؤمنون : ٩٩-١٠٠] .**

والتركيب الجاري مجرى المثل عند ابن عاشور هو **M ¨ ª » ¬ ® L** ولكن ذكر السياق لا بد منه لتتضح من خلاله قوة تركيب العبارة القرآنية . فالسياق يبين موقف الكافرين والمفرطين في أمر الله تعالى عند الاحتضار وهم يسألون الرجعة الى الحياة الدنيا رجاء الايمان والعمل الصالح المترتب عليه . و(حتى) ابتدائية متصلة بقوله تعالى : **M W X Y Z [ \ ] L** [المؤمنون : ٩٥] . وهو انتقال الى وصف ما يلقون من العذاب في الآخرة بعد أن ذكر عذابهم في الدنيا . وضمير الجمع في (ارجعون) تعظيم للمخاطب ، وجملة الترجي تعليلية لمضمون جملة (ارجعون)[2] .

ويأتي الجواب مصدراً بـ (كلا) التي تحمل معنى الردع والاقناط والتيئيس والتحقير وكل ما يتبادر الى ذهن السامع من معاني الانكار والاستبعاد . قيل : هي من قول الله تعالى لهم ، أو من قول من عاين الموت يقول ذلك لنفسه على سبيل التحسر والتندم . و**M ¬ ® L** لا يسكت عنها ولا يخليها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم ، والمراد بها كلمة **M رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ L** ، أو فلا يجد لها جدوى ولا يجاب لما سأل ولا يغاث ، ولا تُسمع منه ، بل هو قائلها وحده ، فتقديم المسند إليه يكون بذلك للاختصاص[3] .

قال ابن عاشور : (وقوله : **M ª » ¬ ® L** تركيب يجري مجرى المثل وهو من مبتكرات القرآن)[4] . فجملة **M ¬ ® L** وصف لـ (كلمة) ، أي : هي كلمة هذا وصفها. ولما كان من البديهي أن وصف الكلمة بأنه هو قائلها لم يكن به فائدة جديدة ،

---

(١) = : التحرير والتنوير : ٣/٨٠-٨٣ .

(٢) = : م.ن : ١٨/٩٩-١٠٠ .

(٣) = : الكشاف : ٧١٥ ، البحر المحيط : ٦/٣٨٨ ، روح المعاني : ١٨/٣٦١ .

(٤) التحرير والتنوير : ١٨/١٠٠ .

تعين أن يكون الخبر مستعملاً في معنى أنه لا وصف لكلمته غير كونها صدرت من صاحبها . وتصدير الخبر بـ (إن) المؤكدة لتحقيق المعنى الذي استعمل فيه الوصف[١] . فهو بذلك تعبير يوحي بغاية الاستخفاف بالكلمة وبقائلها وانها مجرد كلمة صدرت منه في الهواء وليس لها من مجيب . يقول سيد قطب فيها : (كلمة لا معنى لها ، ولا مدلول وراءها ، ولا تنبغي العناية بها ، إنها كلمة الموقف الرهيب ، لا كلمة الاخلاص المنيب . كلمة تقال في لحظة الضيق ، ليس لها في القلب من رصيد)[٢] . فحق لها أن تضرب مثلاً، وأعجب بهذا النظم وبهذا التركيب العجيب .

**٣. قال تعالى : M E F G H I J K L M N O P Q L [الفرقان : ٥٩] .**
**S T U V L**

والتركيب الجاري مجرى المثل هو **L V U T M** ، قال فيه ابن عاشور : (وهذا يجري مجرى المثل ولعله من مبتكرات القرآن)[٣] . والآية واردة في سياق الوصف لـ**M 8 9 : ; L** [الفرقان : ٥٨] ، لاقتضائها سعة العلم وسعة القدرة وعظيم المجد ، فصاحبها حقيق بأن يُتوكل عليه ويُفوض أمر الجزاء إليه ، وهو تخلص بديع الى العود للاستدلال على تصرف الله تعالى بالخلق[٤] . و(الرحمن) خبر مبتدأ محذوف تقديره : هو ، أو بدل من الضمير المستتر في جملة (استوى) ، ويجوز أن يكون مبتدأً وجملة **M T U L** خبره[٥] . وأكثر ما يحمل عليه هو التوجيه الأول ، أي : هو الرحمن ، وهو من حذف المسند اليه الغالب في الاستعمال عندما تتقدم أخبار أو أوصاف لصاحبها ، ثم يراد الاخبار عنه بما هو إفصاح عن وصف جامع لما مضى أو أهم في الغرض مما تقدمه ، فان وصف (الرحمن) أهم في الغرض المسوق له الكلام من الأمر بالتوكل عليه لأنه يقتضي أنه يدبر أمور من توكل عليه . وهو في الحقيقة وصف آخر لـ

---

(١) = : م.ن : ١٠٠/١٨ .

(٢) في ظلال القرآن : ٢٤٨٠/٤ .

(٣) التحرير والتنوير : ٨٢/١٩ .

(٤) = : م.ن : ٨١/١٩ .

(٥) = : معاني القرآن وإعرابه : ٥٨/٤ ، الكشاف : ٧٥٠ .

(الحي) رُفع على المدح وإن لم يتبعه في الإعراب ، لما تقرر من أن المنصوب والمرفوع مدح وإن خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة، وهو ما يسمى بالقطع لإفادة الافتنان الموجب لايقاع السامع وتحريكه الى الجدّ في الإصغاء[١] . ولذلك قُرئ (الرحمنِ) بالجر صفة للحي[٢] .

وتوجيه آخر يحتمله النص وهو أن يكون (الرحمن) خبر مبتدأ معلوم وهو (الذي) مع صلته وما عطف عليها ، وذلك لإقناع المشركين بأن الذي يؤمن به المعني بالخطاب والمؤمنون هو خالق السموات والأرض وما بينهما ، وهو الذي له صفة الرحمة ، فهو الذي إن شاء دفع عنهم الضرّ وجلب لهم النفع على خلاف زعمهم من اسناد ذلك الى ما اتخذوه من آلهة من دونه[٣] . وجملة **L V U T M** تفريع على تلك الصفة للدلالة على أن رحمته من العظمة والشمول والسعة ما لا تفي فيها العبارة فعدل عن زيادة التوصيف الى الحوالة على عليم بتصاريف رحمته مجرّب لها متلق أحاديثها ممن علمها وجرّبها . والباء في (به) هي بمعنى (عن) ، أي : فاسأل عنه خبيراً[٤] . لتضمن الفعل معنى التفتيش ، أو أن تكون على أصلها لتضمنه معنى الاعتناء وهو الاولى أو على تقدير: فاسأل بسؤالك عنه خبيراً ، على أن يكون الخبير هو الله ﴿ﷻ﴾ فنُصب على المفعول به بالسؤال[٥] . والضمير عائد الى ما ذكر إجمالاً من الخلق والاستواء ، فالباء صلة (سل) ، ويجوز أن تكون متعلقة بـ (خبيراً) أفادت العموم ولاسيما اذا تعلق بها فعل الأمر ، والمعنى : إن شئت تحقيق ما ذكر فاسأل عنه خبيراً به يعلمك صدق ما تقدم من أوصافه وصحتها على طريقة (استقراء الخبراء) الذين جربوا ربهم عن طريق الدعاء[٦] .

.

---

(١) = : ارشاد العقل السليم : ٢٢/٥ ، روح المعاني : ٥٢/١٩ ، التحرير والتنوير : ٨١/١٩ .

(٢) وهي قراءة زيد بن علي . = : البحر المحيط : ٤٦٥/٦ .

(٣) = : معارج التفكر : ٥٨٩/٦ .

(٤) = : تأويل مشكل القرآن : ٥٦٨ .

(٥) = : الجامع لأحكام القرآن : ٤٣/١٣ .

(٦) = : الكشاف : ٧٥٠ ، روح المعاني : ٥٢/١٩ ، التحرير والتنوير : ٨١/١٩-٨٢ ، معارج التفكر: التفكر: ٥٩١/٦ .

**٤. قال تعالى : M ° ± L [التكوير : ٢٦] .**

والمعنى : أين تذهبون عن هذا القرآن ، وتعدلون عنه[١] . قال ابن عاشور : (واعلم أن جملة (أين تذهبون) قد أرسلت مثلاً ، ولعله من مبتكرات القرآن)[٢] .

وقد وردت الآية اعتراضية بين جملة M© ª » ¬ ® L [التكوير : ٢٥] وجملة M ³ ´ µ ¶ ¸ L [التكوير : ٢٧] . والفاء : لتفريع التوبيخ على دعوى أن يكون القرآن الكريم كلام كاهن واثبات أنه من عند الله تعالى بالحجج الواردة في السياق . و(أين) استفهام إنكاري عن مكان ذهابهم ، والمراد طريق ضلالهم ، ورد على سبيل التمثيل لحالهم في سلوك طرق الباطل بحال من ضلّ الطريق الجادة فيسأله السائل منكراً عليه سلوكه ، أي : اعدل عن هذا الطريق فإنه مضلّة ، فأي طريق تسلك أبين من هذه الطريقة التي بينت لك[٣] . (وهو استضلال لهم واستجهال على أبلغ وجه في كل ما كانوا ينسبونه إليه بحيث صار ضلالهم معروفاً لا لبس فيه)[٤] . ويمكن حمل الاستفهام على التعجيز عن طلب طريق يسلكونه الى مقصدهم من الطعن في القرآن ، أي : سدّت عليكم طرق بهتانكم إذ اتضح بالحجة الدامغة بطلان ادعائكم أن القرآن كلام مجنون أو كاهن فماذا تدّعون بعد ذلك[٥] .

**- التشبيه :**

**١. قال تعالى: v u t s r q p o n m l k M**

**ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ¥ ¦ § ¨**

**© ª « ¬ ® ¯ ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ º »**

**¼ L [الأعراف : ١٧٥-١٧٦] .**

---

(١) = : جامع البيان : ٨٨/٣٠ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٤٦/٣٠ .

(٣) = : الكشاف : ١١٨٤ ، التفسير الكبير : ٦٩/١٦ ، التحرير والتنوير : ١٤٦/٣٠ .

(٤) نظم الدرر : ٢٩٥/٢١ .

(٥) = : التحرير والتنوير : ١٤٦/٣٠ .

ومناط الابتكار هو في التمثيل البديع لحال الشقاء الذي يعانيه من آتاه الله تعالى دلائل الحق وأسباب الهداية ثم أصر على الركون الى الكفر والعماية والضلال بحال الكلب في دوام لهثه في جميع أحواله ، قال ابن عاشور : (وهذا التمثيل من مبتكرات القرآن فإن اللهث حالة تؤذن بحرج الكلب من جراء عسر تنفسه عن اضطراب باطنه وإن لم يكن لاضطراب باطنه سبب آت من غيره)[١] .

وبلاغة هذا التشبيه التمثيلي تتكشف جلياً في احضان السياق وتتجلى قيمته البيانية في قدرته على تصوير المعاني المجردة وإحالتها صوراً حية نابضة بالحياة . فالسياق استهل بأسلوب الأمر لارادة الوعظ بمضمون القصة وإلفاتاً الى خطورة تلك الحال تحذيراً من الانخراط في سلكها . وإيثار الفعل (اتل) يؤيد ذلك لما في التلاوة من معنى التتابع[٢]، ولاسيما اذا كان المتلو (نبأ) وهو الخبر المهم ذو الشأن الخطير[٣] . فاذا كان الخطاب خاصاً بالرسول ﴿ﷺ﴾ بصيغته ، فان فيه معنى العموم لأمته ، فهي كذلك مطالبة بتلك التلاوة والاعتبار بمضمون ما بعدها ، فالتعميم والتخصيص ظاهرة تركيبية قائمة على التوسع والتضييق في الدلالة ، وهي علاقة شبيهة بالبعضية ، إذ يدل البعض على الكل توسعاً ، والكل على الجزء تقليصاً للمعنى[٤] .

وظاهر الاسم الموصول أن صاحب الصلة معين، وأن مضمون الصلة حال من أحواله ، فقيل : هو أمية بن أبي الصلت وهو الأشهر، أو هو رجل من قوم موسى ﴿عليه السلام﴾ آتاه الله الحجج على وحدانيته وكرّه اليه الشرك ولكنه كابر وتقهقر الى الضلال ، وصيّر الشيطان تابعاً له يرجع إليه في معصية الله تعالى . فالتعبير بالفعل (أتبعه) أخص من (اتّبعه) أي : لحقه غير مفلتٍ منه ، **L w v u M** أي: صار واحداً ممن عُرفوا بصفة الغواية واشتهروا بها[٥] . فضلا عما في صيغة (أتبعه) من الايحاء بسرعة الإتباع

---

(١) م.ن : ٣٥٣/٨ .

(٢) = : الفروق اللغوية : ٤٨ .

(٣) = : روح المعاني : ٣٢٥/١٥ .

(٤) = : قضايا اللغة في كتب التفسير ، الهادي الجطلاوي : ٣٧٣ .

(٥) = : جامع البيان : ١٣٢/٩-١٣٣ ، التحرير والتنوير : ٣٥٠/٨-٣٥٢ .

لأنّ الشيطان أبدا في حالة تربص وتأهب لمن ضل طريق الهداية ، بما تدل عليه صيغة (أفعل) وفاء التعقيب في ربط الأحداث المتتابعة المتوالية .

والتعبير بالفعل (انسلخ) عن الاعراض والخروج أدى دوراً فنياً رائعاً إذ رسم صورة الموضوع بجرسه وظله في الخيال، وهو يجسد الصورة العنيفة للمتملص من هذه الآيات؛ لان الانسلاخ حركة حسية قوية[١]. ولهذه الصورة رمز ومعنى إذ السلخ لا يكون الا بعد ذبح الشاة، وفي هذا تضمين يوحي بأن هذا الرجل ومن كان على شاكلته أموات غير أحياء[٢] .

وفي التعبير بـ M y z } بِهَا وَلَكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ L استعارة تمثيلية ، مثّل حال المتلبس بالنقائص والكفر بعد الايمان وزكاء النفس بالتقوى والسمو الروحي بحال من كان مرتفعاً عن الأرض فنزل من اعتلاء الى أسفل ، فالاخلاد هو التسفل والتلبس بالنقائص والمفاسد ، واتباع الهوى هو ترجيح تلك النقائص على الهدى والرشاد[٣] . ويأتي التشبيه التمثيلي موطن الشاهد على الابتكار تفريعاً على الاستعارة التمثيلية ليحل محل ما يترتب على عاقبة تلك الحال من الاخلاد واتباع الهوى ، وتقدير الكلام على حد قول الزمخشري : (ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض فحططناه ووضعنا منزله فوضع قوله : M ¥ ¦ § L موضع حططناه أبلغ حط ؛ لأن تمثيله بالكلب في أخس أحواله وأذلها في معنى ذلك)[٤] ، وإجراء التمثيل هو أن هذا الضال تحمل كلفة اتباع الدين الحق وصار يطلبه قبل فترة التكليف ، فلما حان وقت التكليف باتباع الحق تحمل مشقة العناد والإعراض في وقت كان جديراً فيه بأن يستريح من عنائه ؛ لبلوغ مراده فكانت حاله شبيهة بحال الكلب الموصوف باللهث في حال وجود اسبابه من الطرد والمشقة ، وفي حال زوال تلك الأسباب فانتزعت الصورة من متعدد في طرفي التشبيه ، إذ لما ذكر M ¨ © ª « ¬ ® ¯ L في شق الحالة

---

(١) = : روائع الإعجاز في القصص القرآني ، محمود السيد حسن : ٨٧ .

(٢) = : خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، عبد العظيم ابراهيم المطعني : ٢٦٥/١ .

(٣) = : التحرير والتنوير : ٣٥٢/٨-٣٥٣ .

(٤) الكشاف : ٣٩٦ .

المشبه بها ، تعين أن يكون لها مقابل في الحالة المشبهة ، وتتقابل أجزاء هذا التمثيل بأن يشبّه الضال بالكلب ، وشقاؤه واضطراب أمره في مدة البحث عن الدين بلهث الكلب في حالة تركه في دعة ، تشبيه المعقول بالمحسوس ، ويشبه شقاؤه في إعراضه عن الدين الحق عند مجيئه بلهث الكلب في حال طرده وضربه تشبيه المعقول بالمحسوس ايضا[١] .

وإيثار الجملة الاسمية في M ¥ ¦ § L للايذان بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة وكمال استمراره عليها ، والخطاب في فعلي الشرط لغير معين ليعم كل من له حظ من الخطاب ، وهذا أدخل في اشاعة فظاعة حاله ، واستدعاء ملاحظته[٢] . وقد حق لهذه الصورة التشبيهية التمثيلية أن تكون من مبتكرات القرآن البلاغية ، وأن تضاف إلى رصيده البياني ، لما تميزت به من دقة التصوير وبراعة التعبير في الكشف عن دواخل النفس الانسانية وما يعتريها اذا ما ضلت طريق الهداية والرشاد ، وهو يرسم منهجه الديني والتربوي للرقي بها الى مكانتها السامية .

**٢. قال تعالى: M X W V U T S R Q P O Y [ \ ] ^ _ ` a b c L [العنكبوت : ٤١] .**

بينت الآية الكريمة حال من اتخذ من دون الله تعالى من الآلهة من مشركي العرب ومن سبقهم ، يرجون نصرها ونفعها عند حاجتهم وضعف احتيالهم ، وسوء اختيارهم لانفسهم بأن مثلهم M V W L في ضعفها وقلة احتيالها لنفسها M X Y L لتسكنها فلم يغن عنها شيئاً عند احتياجها اليه ، فكذلك حال هؤلاء المشركين حين حل بهم سخط الله ﴿ﷻ﴾ فلم يدفع عنهم أولياؤهم من دون الله شيئاً بعبادتهم إياهم[٣] .

فلما كانت حال هؤلاء في هذا الاتخاذ الواهن يشوبه شيء من الغموض اراد الله ﴿ﷻ﴾ كشفه وتجليته بأروع صور البيان ، بتمثيله بأبين صور الوهن وألصقها بالنفوس ، وأجلاها للعيان ، (وأخرج ما لا يعلم بالبديهة ، وقد اجتمعا في ضعف المعتمد)[٤] . قال

---

(١) = : التحرير والتنوير : ٣٥٣/٨-٣٥٤ .

(٢) = : ارشاد العقل السليم : ٥٣/٣ ، روح المعاني : ١٥٣/٩ .

(٣) = : جامع البيان : ١٥٢/٢٠ .

(٤) النكت في اعجاز القرآن ، الرماني : ٨٤ .

فيه ابن عاشور : (وهو تمثيل بديع من مبتكرات القرآن)[١] ، إذ مثل هؤلاء في اتخاذهم من دون الله تعالى أولياء بالعنكبوت فيما نسجته واتخذته بيتاً ، فشبه الهيئة المنتزعة من الاتخاذ والمتخذ والمتكل عليه بما يقابله من جهة المشبه به لتقرير وهن أمر دينهم ، ومدار قطب التشبيه أن أولياءهم بمنزلة منسوج العنكبوت ضعف معتمد وعدم صلوح . وقوله تعالى **M ] \ [ ^ _ ` a b c L** تذييل بليغ لتقرير الغرض من التشبيه . ويمكن حمل هذه الجملة على أنها استعارة تمثيلية وما تقدم توطئة لها ، كأنه قيل : وإن أوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الأوثان ، وهي كذلك تقرر الغرض من التشبيه بتبعية تقرير المشبه، وكأن التقرير باعتباره تذييلاً جارٍ بتبعية تقرير المشبه به . وهذا التعاور في حمل التذييل على تقرير المشبه تارةً ، والمشبه به تارةً أخرى قريب من تجريد الاستعارة وترشيحها[٢] . وهي من حيث الموقع الوظيفي جملة حالية من تتمة التشبيه التمثيلي ، وقد تكون اعتراضية لبيان وجه الشبه[٣] . وقد بلغت من الايجاز والبيان ما يؤهلها لأن تضرب مثلاً في قلة جدوى الشيء **M a b c L** أن ذلك مثلهم في اتخاذهم هذا ، ولكنهم لا يعلمون انعدام غناء ما اتخذوه عنهم[٤] . فاقتضى ذلك أن الأديان التي يعبد أهلها غير الله تعالى هي أحقر الأديان وأبعدها عن الرشد وان كانت متفاوتة فيما يعرض لتلك العبادات من الضلالات كما تتفاوت بيوت العنكبوت من غلظها بحسب تفاوت دويبات العنكبوت التي نسجتها في القوة والضعف[٥] .

**- الكناية :**

**- قال تعالى: M W V Y X Z [ \ ] ^ _ ` a b c L [الحاقة: ٤٤-٤٦] .**

---

(١) التحرير والتنوير : ١٧٢/٢٠ .

(٢) = : روح المعاني : ٤٩٠/٢٠ .

(٣) = : التحرير والتنوير : ١٧٢/٢٠ .

(٤) = : معاني القرآن واعرابه : ١٢٧/٤ .

(٥) = : التحرير والتنوير : ١٧٣/٢٠ .

ومناط الابتكار هو في التعبير الكنائي عن الإهلاك بقطع الوتين . قال ابن عاشور : (ولم أقف على أن العرب كانوا يكنّون عن الاهلاك بقطع الوتين ، فهذا من مبتكرات القرآن) [١] .

والآية وردت في سياق الاستدلال على أن القرآن الكريم منزل من عند الله تعالى على طريقة (المذهب الكلامي) ، إذ ان الاهلاك مشروط بالتقول على الله تعالى ، و(لو) حرف امتناع لامتناع ، فعدم حصول الاهلاك للنبي ﴿ﷺ﴾ دليل على صدقه وصدق ما جاء به ، لأن (لو) تقتضي انتفاء مضمون جوابها لانتفاء مضمون شرطها . وقد رد الله تعالى على المشركين اتهامهم النبي ﴿ﷺ﴾ تارةً بالشعر ، وتارة بالكهانة ، فلو كان الأمر كما يزعمون ، **M \ [ ^ L** أي بيده اليمنى ، وقيل : لاخذناه بالقوة منا وبالقدرة ؛ لأن اليمين يكنى بها عن الاهتمام بالتمكن ، ثم لقطعنا منه نياط القلب[٢] .

وقطع الوتين أصله من أحوال الجزور ونحوها ، فشبه عقاب من يُفرض تقوُله على الله تعالى بجزور تنحر فيقطع وتينها على سبيل الاستعارة التصريحية ، أي : لقطعنا نياط قلبه فهلك[٣] . كناية عن الإماتة والقتل فكان كمن قطع وتينه[٤] . وذهب الامام الرازي الى أن التعبير وارد على سبيل التمثيل لأبشع صور الإهلاك وأفظعها وقعاً في النفس بقوله : (وهذا ذكره على سبيل التمثيل بما يفعله الملوك بمن يتكذب عليهم فانهم لا يمهلونه بل يضربون رقبته بالحال ، وإنما خص اليمين بالذكر ؛ لأن القتّال اذا أراد أن يوقع الضرب في قفاه أخذ بيساره ، وإذا أراد أن يوقعه في جيده وأن يلحقه بالسيف وهو أشد على المعمول به ذلك العمل لنظره الى السيف أخذ بيمينه)[٥] ، وهذا أبلغ في تصوير القِتلة ، وأفظع في التهويل والردع لما يتركه التمثيل من أثر في النفس (فهو يريك للمعاني الممثلة بالأوهام شبهاً في الأشخاص الماثلة ، والأشباح القائمة ، وينطّق لك الأخرس ، ويعطيك البيان من الأعجم ، ويريك الحياة في الجماد ، ويريك التئام عين الأضداد)[٦] ، فجاء

---

(١) م.ن : ١٣٥/٢٩ .

(٢) = : جامع البيان : ٧٠/٢٩ .

(٣) = : التحرير والتنوير : ١٣٥/٢٩ .

(٤) = : تأويل مشكل القرآن : ١٥٥ .

(٥) التفسير الكبير : ١٠٤/١٥ .

(٦) اسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني : ١١٨ .

التعبير الكنائي عن الاهلاك غاية في الابتكار ، ومثالاً في البيـــان والإشـــهار ، ولاســـيما بتواشجه مع تلك الصورة التمثيلية البديعة .

**مبتكرات القرآن في علم البديع :**

**- حسن التخلص :**

قال تعالى : **N M L K J I H G F E D C BM L W V U T S R Q P O** [الأنفال : ١١] .

ومناط الابتكار هو في حسن التخلص البديع بالاداة (إذ) الزمانية التوقيتية قـــال ابـــن عاشور : (لقد أبدع نظم الآيات في التنقل من قصة إلى أخرى من دلائل عناية الله تعـــالى برسوله ﴿ﷺ﴾ وبالمؤمنين ، فقرنها في قرن زمانها ، وجعل ينتقل من إحداها الى الأخرى بواسطة إذ الزمانية ، وهذا من أبدع التخلص ، وهو من مبتكرات القرآن فيما أحسب)[١] .

والمراد بالتنقل من قصة إلى أخرى هي حلقات قصة معركة بدر في مطلع السورة ، فـــي قولـــه تعـــالى: **L... z y x w v M** [الأنفـــال : ٧]، ثـــم **M! " # L...** [الأنفال : ٩] ، ثم الآية موطن الشاهد ، ثم ينتقل السياق الى قوله تعالى: **YM Z [ \ [ ^ _ L...** [الأنفال : ١٢]. وهذا أحد أســـاليب عـــرض القصـــة القرآنية بجمع الأحداث وربطها مع بعض بالتوظيف البديع لهذه الأداة الزمانيـــة ، وهـــي إحدى الخصائص الفنية في نقل الحدث وشد النفوس لتأمل الصور في مســـرح الأحـــداث ومتابعة حلقاتها[٢] .

والتوجيه الذي عليه (إذ) في هذا السياق أن تكون مفعولا فيـــه لقولـــه تعـــالى: **6 M 7 L** -كما يرى ابن عاشور- فان إغشاءهم النعاس كان من أسباب النصر ، فلا جرم أن يكون وقت حصوله ظرفا للنصر[٣] .

إن بنية التخلص في القرآن الكريم بنية تكوينية تثير المعاني المختلفة فـــي الـــنص ، وهذا من جماليات البلاغة في حسن التخلص ، فالمعنى الاول في النص القرآني يتحـــرك

---

(١) التحرير والتنوير : ٣٥/٩ .

(٢) = : التعبير القرآني والدلالة النفسية ، عبد الله محمد الجيوسي : ٥٠٣ .

(٣) = : التحرير والتنوير : ٣٥/٩ .

لخصائص من التنظيم والتركيب تسمح له أن يولّد دلالات جديدة في المقام ، وهذه الدلالات أو المعاني الثواني يسعها الاسلوب وهو الذي يشير اليها ، وهي معانٍ عميقة طويلة الأمد على اعتبار أن تلك المعاني البعيدة أدق وأبلغ في الوصول الى الغاية التي تشير اليها الآيات ، تسعى لايجاد النموذج المتكامل وأبلغيتها تأتي من كونها أكثر مطابقة مع المعاني التي يسعى النص القرآني لتحقيقها[١] .

**- القلب :**

قال تعالى: **M «¼ ½ ¾ L** [الأنبياء : ٣٣] .

ففي تعليقه على هذا المحسّن قال ابن عاشور : (ومن بدائع الاعجاز في هذه الآية أن قوله تعالى **M «¼ ½ L** فيه محسن بديعي فان حروفه تقرأ من آخرها على الترتيب كما تقرأ من أولها مع خفة التركيب ووفرة الفائدة وجريانه مجرى المثل من غير تنافر ولا غرابة ، ومثله قوله تعالى : **M £ ¤ L** [المدثر : ٣] بطرح واو العطف ، وكلتا الآيتين بني على سبعة أحرف ، وهذا النوع سماه السكاكي (المقلوب المستوي) وجعله من أصناف نوع سماه القلب . وخص هذا الصنف بما يتأتى القلب في حروف كلماته . وسماه الحريري في المقامات (ما لا يستحيل بالانعكاس) ... قال العلامة الشيرازي في شرح المفتاح : وهو نوع صعب المسلك قليل الاستعمال قلت : ولم يذكروا منه شيئاً وقع في كلام العرب فهو من مبتكرات القرآن)[٢] .

والفلك في كلام العرب كل شيء دائر ، وجمعه أفلاك[٣] . والجملة كلها في موقع الاستئناف البياني ؛ لأنه لما ذكر الأشياء المتضادة بالحقائق أو بالأوقات ذكراً مجملاً في بعضها الذي هو آيات السماء ، ومفصلاً في بعض آخر وهو الشمس والقمر ، كان المقام

---

(١) = : المعاني الثانية في الاسلوب القرآني ، فتحي أحمد عامر : ٣٣ ، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، مجيد عبد الحميد ناجي : ٩٩-١٠٠ .

(٢) التحرير والتنوير : ٤٦/١٧ .

(٣) = : جامع البيان : ٢٦/١٧ .

مثيراً في نفوس السامعين سؤالاً عن كيفية سيرها ، وعدم اصطدامها ، فأجيب بأن كلاً له فضاء يسير فيه فلا يلاقي غيره[١] .

والسبح مستعار للسير في متسع ، والضمير في (يسبحون) عائد الى عموم آيات السماء وخصوصاً الشمس والقمر ، وأجري عليها ضمير جماعة الذكور باعتبار تذكير بعضها مثل القمر والكواكب ، فيكون بذلك قد روعي في وصفها بالسباحة التي هي أفعال العقلاء فأجري عليها ضمير العقلاء[٢] . يعني فيكون ذلك ترشيح للاستعارة التصريحية . و(في فلك) ظرف مستقر خبر عن (كل) الذي هو المبتدأ ، وتنوينه عوض عن المضاف اليه ، أي كل تلك ، فهو معرفة تقديراً . وهو المقصود من الاستئناف بأن يفاد أن كلاً من المذكورات مستقر في فلكه لا يصادم فلك غيره ، وجملة (يسبحون) حالية[٣] . والفعل المضارع يصور تلك الحركة المنسابة المستمرة والمتجددة في فضاء مليء بالافلاك والكواكب السابحة ، وكذلك هذا المحسن المبتكر لا تصادم في حروفه من أي فلك قرأته وكأنه تجسيد لمضمون الآية وتمثيل لهذا المعنى على حروف عبارتها .

---

(١) = : التحرير والتنوير : ١٧/٤٤ .

(٢) = : الكشاف : ٦٧٨ .

(٣) = : التحرير والتنوير : ١٧/٤٤-٤٥ .

# خاتمة

وفي الختام كان أهم ما حققه البحث من نتائج أن عرض تعريفاً اصـــطلاحياً بلاغيـــاً للابتكار ، نبع من أصله اللغوي ومن مفهوم ابن عاشور علـــى وفـــق معطيـــات تحديـــده للمواضع التي رشحتها ذائقته البلاغية وعدها من مبتكرات القرآن ، والتي بلغـــت واحـــداً وعشرين موضعاً توزعت على علوم البلاغة الثلاثة (المعاني ، البيان ، البديع) ، موضعين منها في النظم واربعة في التركيب ، وموضعاً في المجاز العقلي ، وخمسة في الاستعارة ، وأربعة مواضع فيما سميته (التراكيب الجارية مجرى الأمثـــال) ملحقـــة بالاســـتعارة ثـــم موضعين في التشبيه وموضعاً واحداً لكل من الكناية وحسن التخلص والقلب . وبعد تحليل تلك المواضع تحليلاً بلاغياً لتجيلة سمة الابتكار فيها تبين واضحاً أن نزول القرآن الكـــريم كان قد منح اللغة العربية حياةً جديدة ، اذ استعملها في أعلى مستوياتها الابداعية ، واستنفد أقصى طاقاتها التعبيرية ، وقدراتها البيانية بما ابتكره فيها من أفانين التصرف في أساليبها ، وأبدعه من طرق نظمها وتركيبها ، واخترعه من معانيها وصورها ، فكانت تلك المبتكرات ملمحاً جديداً وبارزاً من ملامح الاعجاز البلاغي للقرآن الكريم ، وكان بحق كتاب العربية الأعظم ومثالها الأقوم، والمعجزة اللغوية التي لا ترام.

## المصادر :


١. ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٨٢هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٢. اساس البلاغة، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار صادر –بيروت ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .

٣. الاستعارة في القرآن الكريم ، احمد فتحي رمضان ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب-جامعة الموصل ، ١٨٠٤هـ-١٩٨٨م .

٤. اسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ، تحقيق هـ. ريتر، مطبعة وزارة المعارف – استانبول ، ١٩٥٤م ، اعادت طبعه بالاوفست مكتبة المثنى ببغداد لصاحبها: قاسم محمد الرجب، طبعة ثانية ومنقحة ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .

٥. الاسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٤م .

٦. إعجاز القرآن ، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف بمصر ، ط١ ، ١٩٧١م .

٧. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع – القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م .

٨. الأمثال في القرآن الكريم ، محمد جابر الفياض ، دار الشؤون الثقافية العامة– بغداد، ط١ ، ١٩٨٨م .

٩. أنوار الربيع في أنواع البديع، علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ) ، تحقيق شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان – النجف الأشرف، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م .

١٠. البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الاندلسي (ت ٧٤٥هـ)، دارسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ، ط١ ، ١٨٢٤هـ-٢٠٠٧م .

١١. البرهان في إعجاز القرآن أو بديع القرآن ، ابـن أبـي الاصـبع المصـري (ت ٦٥٤هـ)، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة المجمع العلمي-بغـداد، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م .
١٢. تأويل مشكل القرآن ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، شـرح ونشـر السيد أحمد صقر، دار التراث-القاهرة ، ط٢ ، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م .
١٣. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، ابن الابي الاصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) ، تحقيق حنفي محمد شـرف ، لجنـة احيـاء التـراث الاسلامي – القاهرة ، ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م .
١٤. التعبير القرآني والدلالة النفسـية ، عبـد الله محمـد الجيوسـي ، دار الغوثـاني للدراسات القرآنية – دمشق ، ط٢ ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م .
١٥. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني المعروف بالسيد الشـريف (ت ٨١٦هـ)، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد- العراق ، (د.ت) .
١٦. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، فخر الدين محمد بن عمـر الـرازي الشـافعي (ت ٦٠٤هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ٢٠٠٩م .
١٧. التمثيل والمحاضرة ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بـن اسـماعيل الثعـالبي (ت ٤٢٩هـ) ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، دار احياء الكتب العربية ، البابي الحلبي – القاهرة ، ١٣٨١هـ-١٩٦١م .
١٨. جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق هادي الحاج ، عماد زكي البارودي، خيري سعيد، دار التوفيقية للطباعـة، القاهرة-مصر ، (د.ت) .
١٩. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصـاري ، تحقيـق سـالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان، ط١ ، ١٤١٥هـ-٢٠٠٠م.
٢٠. الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة ، محمود صافي، انتشارات مدين، مطبعة النهضة – قم ، ط١ ، ١٤١١هـ-١٩٩١م .

٢١. جوهر الكنز (تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة)، احمد بن اسماعيل بن الاثير الحلبي (ت ٧٣٧هـ)، تحقيق محمد زغلول سلام ، منشئة المعارف بالاسكندرية جلال حزى وشركاه (د.ت) .
٢٢. حسن التوسل الى صناعة الترسل، شهاب الدين محمود الحلبي (ت ٧٢٥هـ)، تحقيق ودارسة أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد للنشر -بغداد ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .
٢٣. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم ابراهيم المطعني، مكتبة وهبة – القاهرة ، ط١ ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .
٢٤. روائع الاعجاز في القصص القرآني ، محمود السيد حسن ، المكتب الجامعي الحديث– الاسكندرية ، (د.ت) .
٢٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ابو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ) ، تحقيق وتقديم وتعليق وتصحيح محمد احمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي، دار احياء التراث العربي ، بيروت-لبنان، ط١ ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .
٢٦. شرح رضي الدين الاستراباذي على كافية ابن الحاجب ، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان ، (د.ت) .
٢٧. شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، القاهرة ، ١٣٥٨هـ-١٩٨١م .
٢٨. الصورة الفنية في المثل القرآني ، محمد حسين علي الصغير، دار الرشيد للنشر – بغداد ، ١٩٨١م .
٢٩. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، ١٩٣٧م .
٣٠. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر ، ط٣ ، ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م .

٣١. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، ضبط وتحقيق حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان، (د.ت) .
٣٢. الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان ، ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، (د.ت) .
٣٣. في ظلال القرآن ، سيد قطب، دار الشروق ، ط١ ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .
٣٤. قضايا اللغة في كتب التفسير، الهادي الجطلاوي، دار محمد علي الحامي، تونس – صفاقس ، ط١ ، ١٩٩٨م .
٣٥. كتاب السبعة في القراءات ، ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف ، ط٢ ، (د.ت) .
٣٦. كتاب العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) ، تحقيق مهدي المخزومي ، ابراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر – بغداد ، ١٩٨٢م .
٣٧. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ) ، اعتنى به خليل مأمون شيحا، دار المعرفة ، بيروت- لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م .
٣٨. لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ) ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطابع كوستا توماس وشركاه- القاهرة ، (د.ت)، (د.ط) .
٣٩. مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت٢١٠هـ) عارضه بأصوله وعلقه عليه محمد فؤاد سزكين، نشر محمد سامي أمين الخانجي- مصر ، ط١، ١٣٨١هـ-١٩٦٢م .
٤٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت٥٤١هـ) ، تحقيق وتعليق عبد الله بن ابراهيم الأنصاري، عبدالعال السيد ابراهيم ، الدوحة- قطر ، ط١ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
٤١. معارج التفكر ودقائق التدبر ، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني ، دار القلم- دمشق ، ط١ ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .

٤٢. المعاني الثاني في الأسلوب القرآني، فتحي أحمد عامر، منشأة المعارف- الاسكندرية ، ١٩٧٦م ، (د.ط) .
٤٣. معاني القرآن ، يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ) ، عالم الكتب ، بيروت- لبنان، ط٢ ، ١٩٨٠م .
٤٤. معاني القرآن وإعرابه ، أبو اسحق ابراهيم بن السري الزجاج (ت٣١١هـ) شرح وتحقيق عبد الجليل عبدة شلبي ، دار الحديث- القاهرة ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، (د.ط).
٤٥. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة وكامل المهندس ، مكتبة لبنان- بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤م .
٤٦. المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات)، إعداد محمد التنوخي وراجي الأسمر، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، ط١ ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م .
٤٧. معجم مقاييس اللغة ، احمد بن فارس زكريا (ت٣٩٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط٢، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م .
٤٨. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، حققه وعلق عليه مازن المبارك ، محمد علي حمد الله ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت- لبنان ، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م ، (د.ط) .
٤٩. المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) راجعه وائل أحمد عبد الرحمن ، المكتبة التوقيفية، القاهرة- مصر ، (د.ت) ، (د.ط) .
٥٠. منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، أبو الحسن حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ)، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجه ، دار الكتب الشرقية- تونس ، ١٩٦٦، (د.ط) .
٥١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، أبو الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ) ، مكتبة ابن تيمية- القاهرة ، ط١ ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .

٥٢. النكت في إعجاز القرآن ، أبو الحسن بن علي بن عيسى الرماني (ت٣٨٦هـ) ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق : محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر ، ط٣ ، ١٩٧٦م .
٥٣. نهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدين بن أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت٧٣٣هـ) ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطابع كوستا توماس وشركاه- القاهرة ، (د.ت) ، (د.ط) .
٥٤. وحي القلم ، مصطفى صادق الرافعي ، قرضه الشيخ محمد عبده ، دار ابن كثير- دمشق ، ط٢ ، ١٢٤٨هـ-٢٠٠٧م .